

مدن ومحافظات عسيرية

عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)

(مقارنات ومشاهدات) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس

(الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) (الجزء الثاني

والعشرون)، ص ص ٤٨٤-٥٣٧ .

رابعاً: مدن ومحافظات عسيريه: عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م). (مقارنات ومشاهدات). بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

الصفحة	الموضوع	م
٤٨٥	مقدمة	أولاً:
٤٨٥	جغرافية الأرض والناس.	ثانياً:
٤٩٠	حياة الناس الاجتماعية	ثالثاً:
٤٩٠	١- المجتمع والأسرة.	
٤٩٢	٢- القرية والمدينة.	
٤٩٤	٣- أنواع العمارة.	
٥٠٠	٤- اللباس وأدوات الزينة.	
٥٠٢	٥- الأطعمة والأشربة.	
٥٠٦	٦- أعراف، وعادات، وتقاليد.	
٥٠٧	٧- الألعاب الرياضية والفنون الشعبية.	
٥٠٩	٨- الصلات بين شرائح المجتمع (داخلياً وخارجياً).	
٥١١	الحياة الإدارية.	رابعاً:
٥١١	١- مؤسسات الدولة الرسمية.	
٥١٣	٢- المؤسسات الأهلية.	
٥١٤	٣- دور القبيلة اجتماعياً وحضارياً.	
٥١٦	حياة الناس الاقتصادية.	خامساً:
٥١٦	١- مقومات الاقتصاد.	
٥١٧	٢- الصيد والرعي.	
٥١٨	٣- الزراعة.	
٥١٩	٤- الحرف والصناعات	
٥٢٣	٥- التجارة.	
٥٢٩	الحياة التعليمية، والثقافية والفكرية.	سادساً:
٥٢٩	١- صور من الحياة العلمية والتعليمية.	
٥٣١	٢- الثقافة والفكر.	
٥٣٢	التاريخ الصحي	سابعاً:
٥٣٤	السياحة اليوم (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م).	ثامناً:
٥٣٥	خلاصة: نتائج وتوصيات.	تاسعاً:

أولاً: مقدمة:

أنشر في هذا المحور بعض التفصيلات التاريخية والحضارية والتنمية التي تعيشها حاضرة أبها، ومحافظات خميس مشيط، وأحد رفيدة، ورجال ألمع، ومحايل عسير، والبرك، والمادة العلمية المدونة في هذه الصفحات قامت على رحلاتي ومشاهدتي لهذه البلدان في الماضي والحاضر، وبخاصة في عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وسوف يتخللها في المتن والحاشية ذكر لحياة الناس في العقود الماضية المتأخرة، مع إجراء مقارنات لبعض الجزئيات، كيف كانت في السابق، ووضعها الحالي عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ^(١).

ثانياً: جغرافية الأرض والناس:

هذه المدن والمحافظات المذكورة في هذه الدراسة، تختلف في طبيعتها الجغرافية، فأبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة بلاد سرويه متقاربة في أشكال جبالها، وأوديتها، وهضابها، وفي معظم تضاريسها الطبيعية، ومناخها وثرواتها الحيوانية والنباتية متقاربة بل متشابهة في أغلبها ^(٢).

أما محافظات رجال ألمع، ومحايل عسير، والبرك فهي متباينة جغرافياً، فرجال ألمع وسط بين المحافظات والمدن السروية الأنف ذكرها، وبلاد محايل عسير والبرك، فتضاريسها أكثر وعورة لارتفاع جبالها وهضابها، وصعوبة دروبها، وتنوع غطائها النباتي، ومناخها معتدل إلى حد ما في الشتاء، ودافئ نوعاً ما في الصيف ^(٣)، أما محافظتا محايل والبرك، فالأولى تقع عند سفوح جبال السروات الغربية، وفيها الجبال العالية، والسهول المنبسطة، ومناخها حار صيفا، دافئ شتاءً، ولا تخلو من النباتات والحيوانات الموجودة في بعض محافظات السراة، وبلاد رجال ألمع ^(٤). أما

(١) أتجول في ربوع السروات وتهامة منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م)، ودرست ونشرت العديد من الكتب والبحوث الموثقة من مصادر ومراجع رئيسية، بالإضافة إلى بعض المشاهدات والرحلات التي قمت بها منذ بداية هذا القرن (١٥/٢٠م) حتى الآن، وما زالت هذه الأوطان الجنوبية السعودية، من مكة والطائف إلى جازان ونجران، بحاجة إلى دراسات أعمق وأطول وأفضل. للمزيد أنظر مؤلفاتي الورقية عن هذه البلاد، وعلى الرابط الإلكتروني (prof-ghithan.com).

(٢) هناك عشرات البحوث والرسائل العلمية والكتب التي فصلت الحديث عن جغرافية هذه البلاد المناخية والطبيعية، وهي متوفرة في المكتبات الجامعية وبعض أقسام الجغرافيا في الجامعات السعودية.

(٣) لا تخلو هذه المحافظات من بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة عنها، لكنها ما زالت تحتاج إلى بحوث أفضل وأعمق وبخاصة في ميدان الجغرافيا بأنواعها.

(٤) سبق أن أشرت في أكثر من بحث أو دراسة عن هذه البلدان الواقعة عند سفوح السروات الغربية، والممتدة من تهامة الطائف جنوباً إلى رجال ألمع، والدرب، وبلاد فيفاء، وبنو مالك، والعارضنة في منطقة جازان فجميعها لم تخدم في ميدان البحوث العلمية الرصينة، وهي بلاد مأهولة بالسكان منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكرة، والوسطية، والحديثة، والمعاصرة. أمل من جامعاتنا المحلية أن تدعم الباحثين وطلاب الدراسات العليا لدراسة هذه الأوطان الحديرة بالبحث والتوثيق.

محافظة البرك فهي ساحلية، ومعظم أرضها سهلة ومستوية، ولا تخلو من بعض الهضاب والجبال قليلة الارتفاع، ومناخها رطب وحار في الصيف، ودافئ في الشتاء^(١).

أما التركيبة البشرية لهذه البلاد النهامية والسروية، فهي مستوطنة بالقبائل العربية القحطانية والعدنانية، منذ العصور القديمة، وما زالت القبيلة هي اللبنة الرئيسية في هذه المدن والمحافظات، وإذا كان اسم (عسير) غلب على البلاد النهامية والسروية الواقعة بين مناطق جازان ونجران والوسطى من الجنوب والشرق، ومنطقتي الباحة ومكة المكرمة من الشمال والغرب، فذلك مصطلح سياسي وإداري يطول شرحه^(٢). لكن تركيبة منطقة عسير، قبائل عربية متعددة الأنساب والأعراق، وكل ناحية معروفة بقبائلها وعشائرها، فمدينة أبها وما حولها تسكنها قبائل (مغيد، وعلكم، وبنو مالك، وربيعة ورفيدة)، ومحافظة خميس مشيط تستوطنها قبائل شهران العريضة، ومحافظة أحد رفيدة فيها عدد من القبائل والعشائر القحطانية متعددة الأسماء، ومحافظات رجال ألمع، ومحاليل عسير، والبرك هي الأخرى تسكنها قبائل عديدة قحطانية وعدنانية^(٣).

كانت هذه المحافظات والمدن والقرى في السابق تحت سيطرة قبائلها وعشائرها، ولا يخالطها عناصر عربية أو غير عربية أخرى وافدة من مناطق أو بلدان أخرى في أوطان السروات، أو تهامة أو غيرها، اللهم إلا بعض القوى السياسية والعسكرية التي وصلتها في قرون ماضية من أجل السيطرة عليها، لكنها لم تؤثر كثيرا على تركيبها السكانية^(٤).

(١) محافظات تهامة عسير (رجال ألمع، محاليل، بارق، المجاردة، البرك) من أقل البلاد التي لم تخدم في ميدان الدراسات التاريخية والجغرافية والحضارية. وقد تفصل جامعة تهامة قريبا فيها، أمل أن تسعى إلى خدمة أرض وإنسان هذه البلاد بحثيا وثقافيا ومعرفيا.

(٢) هناك عشرات الدراسات التاريخية والحضارية التي ذكرت بلاد عسير، وقبائلها، وأحداثها السياسية والإدارية خلال القرون الثلاثة الماضية، وبعض تلك الدراسات فصلت الحديث عن مسمى عسير وأصولها، وأنسابها، والقوى السياسية التي سيطرت عليها منذ القرن (١٢هـ/١٨م). انظر شيئا من تلك البحوث والدراسات في مكتبات الجامعات المحلية والإقليمية والعالمية.

(٣) لم أفضل الحديث عن أصول وأنساب هذه القبائل النهامية والسروية، فكل عشيرة وقبيلة تستحق أن يكتب عنها بحوث عديدة، وهناك بعض كتب النسب القديمة والحديثة، وبعض الكتب التاريخية والحضارية الأخرى تشتمل على معلومات متفاوتة عن هذه القبائل من بلاد أحد رفيدة وخميس مشيط إلى محاليل عسير والبرك. وأقول أنها ما زالت بحاجة إلى دراسات نوعية يغلب عليها الحيادية والمصداقية والأمانة، أمل أن نرى في قادم الأيام من يقوم بهذه الأعمال البحثية خدمة لإنسان وأرض هذه الأوطان.

(٤) من يستقرئ التاريخ السياسي لمنطقة عسير عبر أطوار التاريخ الإسلامي يجد قوى سياسية في اليمن والحجاز، كان بعضها يسعى إلى مد نفوذه إلى بعض مناطق عسير السروية والتهامية، لكنها لم تستطع حتى جاء العصر الحديث، ثم امتد نفوذ الدولة السعودية الأولى إليها، كما سعت بعض القوى الأخرى مثل العثمانيين والمصريين وغيرهم إلى السيطرة عليها عقودا عديدة، كما ظهرت إمارة الإدريسي في جازان، وبعض القوى الأخرى واجتهدت في السيطرة على حاضرة أبها، وبعض المحافظات النهامية مثل البرك، ومحاليل عسير، ورجال ألمع، ولم تدخر بعض القوى الغربية، كبريطانيا، وإيطاليا، جهدا بهدف السيطرة على بعض موالي البحر الأحمر المقابلة لبلاد عسير النهامية.

ومنذ قيام الدولة السعودية الحديثة وامتداد نفوذها إلى منطقة عسير في أربعينيات القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، ثم نمو البلاد وتطورها خلال المئة سنة الماضية، جرى بعض التغيرات الديموغرافية في هذه المدن والمحافظات المذكورة في هذا المبحث وغيرها من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، ونذكر في النقاط الآتية شيئاً من تلك التحولات:

١. نتيجة لفقدان الأمن، وعدم وجود سلطة مركزية تحكم البلاد خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة؛ كانت الصراعات القبلية موجودة بقوة في هذه الأوطان، وغالباً يخرج من تلك الحروب غالب ومغلوب، والمغلوب دائماً يدخل تحت لواء القبيلة أو القبائل المنتصرة، وأحياناً تهجر القبائل أو العشائر المهزومة إلى مكان آخر أكثر استقراراً وأماناً. ونلاحظ كثير من القبائل الموجودة اليوم عند سفوح السروات الغربية فهي أصلاً فروع من القبائل السروية الممتدة من ظهران الجنوب إلى زهران، ونزوحهم إلى منطقة الأصدار ربما بسبب الصراعات والحروب القبلية قبل الإسلام وبعده^(١).

٢. مجاورة هذه المدن والمحافظات المذكورة في هذا المبحث لسواحل البحر الأحمر الشرقية، وأيضاً صلاتها الجغرافية والحضارية مع اليمن والحجاز، وبعض بلدان السروات وتهامة الأخرى، فقد خرج منها أو جاء إليها بعض العناصر البشرية من تلك البلدان والنواحي المجاورة، كما انتقل إلى سواحل عسير وغيرها من سواحل تهامة الممتدة من مكة إلى جازان بعض العناصر الأفريقية التي جاءت إليها للعمل، أو كان لتجار الرقيق دور في نقل بعضهم من سواحل البحر الأحمر الغربية إلى سواحله الشرقية^(٢).

٣. نتج عن الحروب والصراعات السياسية التي وقعت على بلاد عسير التهامية والسروية خلال العصر الحديث، وبخاصة من القوى السياسية الخارجية التي جاءت إلى هذه البلاد من داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجه أن البعض من أفرادها أقاموا في مدن ومحافظات عسير، وصاروا من نسيج المجتمع، وعند قيام الدولة السعودية الحديثة أصبحوا مواطنين من سكان عسير، والمملكة العربية السعودية^(٣).

(١) الصلات في السياسة والأنساب بين القبائل العربية في منطقة عسير وغيرها من بلاد السروات وتهامة عبر أطوار التاريخ من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٢) الباحث في أنساب القبائل والسكان القاطنين اليوم في عموم السروات وتهامة يجد أن بعضهم انتقلوا إليها من مواطن عديدة في شبه الجزيرة العربية، بل بعضهم جاءوا من خارج الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية، وأخرى حربية وسياسية، أو اجتماعية وعلمية وثقافية.

(٣) من يسير في مناكب ومدن وحواضر المملكة العربية السعودية اليوم يجد أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي جرت على هذه البلاد منذ قرون عديدة حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) أثرت على تركيبة السكان البشرية، فجرى التزاوج والتداخل بين الكثير من الأجناس والأعراق، وصاروا اليوم من طبقات المجتمع السعودي الكبير، وتاريخ المجتمع السعودي منذ أربعينيات القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم موضوع كبير يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والرسائل العلمية.

٤. عندما أصبحت بلاد عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية الحديثة، تبدلت أحوال الناس، وصار هناك مؤسسات إدارية حديثة تحكم البلاد، وأصبحت القبيلة عاملاً مساعداً لإدارة بلادها تحت مظلة الدولة، واجتهدت الحكومة في تنمية البلاد اقتصادياً، وإدارياً، وعسكرياً وسياسياً واجتماعياً، وتعليمياً، وثقافياً، وتنموياً وسياحياً، وبالتالي وفد إلى منطقة عسير عناصر بشرية سعودية، وعربية، وغير عربية من أجل المساهمة في بناء البلاد وتطويرها. وبعض هذه العناصر جاءت للعمل مؤقتاً ثم العودة إلى أوطانها الرئيسية، وآخرون، وهم قلة، جاءوا وأقاموا في عسير وصاروا ضمن طبقات المجتمع العسيري الرئيسية^(١)، أما العناصر الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية فجاءوا للعمل بشكل مؤقت ثم العودة إلى بلادهم، وهذه العناصر الخارجية الوافدة قدموا من عشرات البلدان في العالم، ومنهم المسلم وغير المسلم، وفيهم العربي وغير العربي، وجميعهم تأثروا وأثروا في المجتمع المحلي، بل الكثير منهم جاءوا ببعض الأعراف والتقاليد واللهجات والثقافات، وما من شك أنهم خالطوا الناس، وتأثروا أيضاً بالسكان المحليين الأصليين^(٢).

وقد قمت خلال شهر صفر عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) بجولة ميدانية في مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، والشعيبين في رجال ألمع، ومحاليل، وقنا والبحر، وبحر أبوسكينة، ومدينة البرك، وزرت الأسواق المتنوعة والمطاعم الصغيرة والكبيرة، الشعبية والحديثة، وبعض المستشفيات الحكومية والأهلية، وعدد من المؤسسات الإدارية الرسمية مثل الجامعة وكلياتها وأقسامها، والمساجد والجوامع، وبعض المناشط السياحية والاجتماعية الداخلية والخارجية، وبعض الورش والمدن الصناعية، وعدد من الفنادق، والشقق المفروشة، والمنتجات الداخلية والساحلية، وبعض الأندية الاجتماعية، والرياضية التجارية، وبعض الدكاكين الصغيرة و(السوبر ماركت) في الأجزاء السروية والتهامية، ولاحظت أموراً عديدة أسرد بعضها في البنود التالية:

(١) الناظر في مجتمع منطقة عسير يجد بعض الأسر أو الأفراد قدموا إلى هذه البلاد من محافظات ومدن أخرى داخل المملكة العربية السعودية، ثم أقاموا فيها منذ سنوات عديدة وصاروا من شرائح المجتمع العسيري الرئيسية.

(٢) أشاهد الحراك البشري في منطقة عسير بشكل خاص، وبلاد السروات وتهامة بشكل عام منذ عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ورأيت عناصر غير عربية أجنبية جاءت للعمل في مشاريع عديدة في الدولة، وفي بعض القطاعات العسكرية، والصحية، والتعليمية، وآخرون من بلاد عربية مثل (مصر، والأردن، وسوريا، والسودان، وفلسطين، وبعض دول شمال أفريقيا، واليمن، وغيرها) جاءوا أيضاً للعمل في مهن التعليم، وبعض الأعمال الاقتصادية، وكان لهم حضور في كثير من مناشط المجتمع المختلفة، والكثير منهم تأثروا وأثروا في كثير من العادات والصلوات الاجتماعية، بل إن السكان المحليين خالطوهم واقتبسوا منهم بعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية في اللباس، والطعام والشراب، واللهجات وغيرها. المصدر: معاصرة الباحث لهذه التحولات من عام (١٣٩٠هـ-١٤٤٢هـ/١٩٧٠م-٢٠٢٠م).

(أ) السواد الأعظم من الأيدي العاملة في هذه المواقع غير سعوديين، ومعظمهم من بلدان شرق آسيا، كالهند، وباكستان، والفلبين، وإندونيسيا، ونيبال، ومنهم عرب من بعض الدول العربية في شمال أفريقيا، ومصر، والسودان، وبلاد الشام، واليمن، وآخرون وهم قليلون من دول أفريقية أخرى.

وهناك عناصر غربية قليلة في بعض المستشفيات، أو الكليات الجامعية، أو الشركات، ولا تخلو بعض الأمكنة من عناصر صينية وكورية^(١). والأجناس السعودية من منطقة عسير وغيرها من بلاد السراة وتهامة، أو مدن سعودية أخرى يعملون في قطاعات مختلفة (حكومية، وأهلية)، لكن ما زالت نسبتهم قليلة، مقارنة بالأيدي العاملة الخارجية، والسماح للمرأة السعودية بالعمل في قطاعات حكومية وأهلية متعددة كانت فكرة جيدة، فالذهاب إلى كثير من الأسواق المختلفة وبعض القطاعات الرسمية والخاصة يجد الكثير من الشباب السعوديات يعملن في هذه الميادين بجد واجتهاد وحرص ومثابرة^(٢).

(ب) ثقافة الشعب السعودي، وبخاصة الشباب، ما زالت ضعيفة تجاه العمل في المهن المختلفة، مع أنها تدر أموالاً كبيرة على من يمتنها، وقد أجريت لقاء مع أكثر من شاب سعودي، أعمارهم تتراوح من (٢٥-٣٥) عاماً، ومعظمهم لا يعملون، ومنهم من يحمل الشهادة الجامعية في تخصصات نظرية أو علمية، وآخرون يحملون شهادات المتوسطة، والثانوية، والدبلوم العالي، وسألتهم عن عدم رغبتهم في العمل بالقطاعات الاقتصادية والمهنية، فكان رد بعضهم أنهم لم يجدوا، وهذا غير صحيح، لكنهم يريدون وظائف ورواتب عالية ولا يطلب منهم جهود وانضباط في العمل، وآخرون يقولون نحن نحمل شهادات جامعية أو دبلومات عالية، وتريدنا نعمل في سوق تجاري، أو دكان خضار، أو بقالة، أو شقق مفروشة، أو ورش صناعية مع الهنود والباكستانيين، إلى غيرها من الأعدار الواهية، وغير المنطقية، وفريق ثالث يقولون أن العمالة الوافدة وبخاصة المسؤولين منهم لا يريدوننا نعمل في هذه المهن، وينظرون إلينا منافسين لهم، ويحرصون على وضع العديد من العراقيل أمامنا حتى نترك هذه الأعمال المهنية^(٣)، وسمعت روايات وأقوالاً أخرى عديدة من هؤلاء الشرائح.

(١) معظم هذه الأجناس من الرجال، وفيهم نسب قليلة من النساء في المستشفيات، وبعض القطاعات الحكومية والخاصة. وشاهدت منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) حتى عام (١٥/١٤١٥هـ/١٩٩٤م) عناصر أوروبية، وأمريكية، وأيضاً كورية، وصينية، كثيرة يعملون في مشاريع الدولة العمرانية، وبعض المطارات، والمدن العسكرية والمستشفيات والكليات الجامعية، ثم تناقصت أعدادهم وحل محلهم عناصر آسيوية من الهند، وباكستان، والفلبين وغيرها.

(٢) أرجو أن نرى الشباب السعودي ينخرط في كل الأعمال المهنية والاقتصادية المختلفة، بل يجب على الدولة أن تبذل قصارى جهدها في تشجيع ودعم ومساعدة الشباب السعودي على العمل في كل القطاعات الخاصة وفي شتى الميادين.

(٣) قد تكون بعض هذه الأقوال فعلاً حقيقة، لكن الشباب الجاد والمجتهد ومن له هدف حقيقي، يحقق مطلبه، مهما واجهه من الظروف والعقبات.

وتناقشت مع بعضهم هل مثل هذه الأعدار فعلاً تقف عائقاً كبيراً في كسب الرزق؟ وأغلبهم مصرون على أقوالهم وما يدعون، وكل ما سمعت منهم، من وجهة نظري، غير مقنع، فالبلاد فيها خير كثير، ومن يبحث عن العمل ويجتهد سوف يتحسن حاله اقتصادياً وتنموياً، لكن المشكلة الكبرى أن المجتمع السعودي منذ خمسين عاماً بدأت أحواله الاقتصادية تتطور بشكل سريع، وعمل الآباء والأمهات على تربية أبنائهم على الاتكالية، وعدم بناء النفس، بل كل طلبات الأبن والبنات موفرة ومبالغ فيها، ولهذا تربي الشاب والشابة على هذا المنهج، وصار الواحد لا يقنع بالقليل، وليس قادراً ولا مؤهلاً نفسياً وثقافياً ومعرفياً على الاجتهاد والاعتماد على النفس في تكوين حياته، وإنما ينظر الأبناء والبنات إلى الوالدين، وكبار الأسرة حتى يوفروا لهم كل مستلزماتهم من توفير المال، وأحياناً المنزل، والزواج، وشراء السيارة، ونفقات السفر. ومن يدرس الأسر في المدن والمحافظات المعنية في هذا البحث، أو في أي ناحية من بلاد السروات وتهامة، أو المملكة العربية السعودية، فإنه يجد أعداداً كبيرة من الأبناء والشباب والشابات ما زالوا يعيشون تحت تأثير هذه الثقافة المجتمعية والأسرية التي أشرت إليها، وقد تتغير في أجيال قادمة مع ضغط الحياة، وضيقها اجتماعياً واقتصادياً، كما أن الأسر، والمجتمعات، ومؤسسات الثقافة، والتعليم والتربية والإعلام، وخطباء المساجد، والمربين والمؤثرين في المجتمعات وغيرهم عليهم جميعاً مسؤوليات كبيرة لنشر وعي العمل وكسب الرزق بالطرق الحلال المشروعة، مهما كانت بيئتها وظروفها وعقباتها. وإذا استطعنا الوصول بالمجتمع والشباب إلى هذه الدرجة فقد ينخرطون في كل الأعمال، ويبدلون جهودهم للترقي والنجاح في شؤون حياتهم المادية والاقتصادية والتوعوية^(١).

ثالثاً: حياة الناس الاجتماعية:

١- المجتمع والأسرة:

ما زالت هذه المدن والمحافظات يغلب عليها الطابع القبلي، وبخاصة في القرى والأرياف منها، فتراهم جميعاً يجتمعون تحت مظلة عشيرتهم، أو قريتهم وأسرهم، ولهم صلات اجتماعية ببعضهم في المناسبات الاجتماعية، وصلاة الجمع والجماعات، أما تركيبة المجتمع والأسر في المدن الكبيرة مثل: أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، ومحاليل عسير، وغيرهم فالحياة المدنية صارت هي الغالبة على طبقات المجتمع، والمدينة أو الحاضرة الكبيرة، وأصبحت مقسمة إلى أحياء أو مخططات لها أسماء معتمدة من البلديات، ويعيش في الحي أو (الحارة) الواحدة أفراد وأسر من أماكن

(١) لم تكن هذه الأقوال والمشاهدات مقتصرة فقط على هذه الرحلة الميدانية التي قمت بها في بعض مناطق عسير السروية والتهامية في بداية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وإنما عرفت نماذج وأمثلة أخرى عديدة خلال عملي في الجامعة أكثر من (٤٦) عاماً، وأيضاً تجوالي ورحلاتي في مناطق عديدة من المملكة العربية السعودية من عام (١٤٠٠-١٤٤٢هـ/١٩٨٠-٢٠٢٠م).

شتى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ولم يعد للقبيلة أو العشيرة لها التأثير الكبير الذي كان لها في السابق في وقتنا الحاضر^(١).

وقد توقفت عند بعض الأمكنة والأحياء في مدن أبها، وخميس مشيط، ومحال عسير، وزرت بعض القرى والأرياف في هذه المحافظات والتقيت ببعض كبار السن، أو بعض المثقفين في هذه النواحي التي تتراوح أعمارهم من (٢٥-٥٥) سنة. واطلعت على بعض الوثائق والمصادر أو المراجع التي اشارت إلى شيء من اجتماعات أو مجتمعات هذه البلاد، وخرجت ببعض الرؤى العامة، مثل:

(أ) مجتمع هذه الأوطان وأسرها صارت تعيش في أمن ورخاء اقتصادي أثر على حياة الناس، فصاروا يتمتعون بحياة كريمة، تسودهم الألفة والمحبة في صلاتهم الحضارية، ولا تخلو أيضاً من بعض العقبات والمنغصات المتنوعة التي تواجه الفرد والأسرة على حد سواء، ومن يقارن الأسر في وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) بوضع الأسرة قديماً يرى أنه شابهها الكثير من التفكك وعدم الترابط الذي عرفه الأوائل، ولا تنفي أن هناك محبة وتقارباً وصلات أسرية أو بين أفراد الأسرة الواحدة، لكن عندما فاض الخير على الناس صاروا يبتعدون عن بعضهم، وأحياناً تسود عناصر الأسرة الواحدة، أو الأسر المتقاربة بعض الجفوة، أو التباعد، وقد تصل الأمور ببعضهم إلى الخصام والقطيعة، وأحياناً إلى الشكاوى في دور الشرط والمحاكم، وغالباً يكون الاختلاف بينهم على سوء فهم لبعض الأمور، أو عقارات وأموال وشيء من حطام الدنيا^(٢).

(ب) أن أفراد الأسر، أو الأسرة الواحدة اليوم ليست كالسابق في التراحم والتقارب والتآلف، ولا تنفي أن الكثير من الأسر وبخاصة في القرى والأرياف ما زالوا في وضع أحسن من المدن حيث التعاون والترابط، لكن الأسرة اليوم أصابها الكثير من الخلل، فإذا كانت أحوال الناس اليوم اقتصادياً ومالياً وتمدنياً قد تحسنت وتطورت، فذلك لم يحم المجتمع والأسر من التباعد، وأحياناً الخلاف والشقاق بين الزوج والزوجة، أو بين الوالدين أو أحدهما مع البنات والأبناء، ومن ثم ارتفعت إحصائية عقوق الأبناء، وأحياناً تمرد المرأة، سواء كانت زوجة، أو بنتاً، أو أختاً وغيرها^(٣).

(١) من يقرأ تاريخ هذه المدن أو القرى سابقاً خلال القرون الماضية، فإنه يجد العشيرة أو القبيلة أو الأسر مهيمنة على حياة الناس في هذه المدن والقرى، ومع تنمية المنطقة وتطورها حضارياً صارت تتحول من قرى أو أسر مترابطة إلى حاضرة أو مدينة كبيرة تجمع داخلها فئات وشرائح بشرية متعددة في أصولها، وأنسائها، وجذورها التاريخية والحضارية.

(٢) هذا ما عرفته وعاصرته وشاهدته خلال الثلاثين عاماً الماضية، كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية والوثائق التاريخية التي تعكس صوراً من تاريخ المجتمعات والأسر العسيرية منذ عام (١٤٣٠-١٤٤٢هـ/٢٠١٠-٢٠٢٠م). يوجد بعض الصور من هذه المصادر ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥-٢٠/٢١م).

(٣) هناك بعض المؤثرات التي أفرزت هذه المشاكل للفرد والأسرة والمجتمع، ومنها:

(ج) أن الأفراد والأسر والمجتمع في المدينة أقل ترابطاً من البوادي، والقرى، والأرياف، بل أن المشاكل الصادرة عن هذه الفئات في المدن والحوضر الكبيرة أكثر في نسبها ومؤثراتها، وقد ذهبت إلى بعض المحاكم ومراكز الشرطة في محال عسير، وأبها، وخميس مشيط، كما زرت مكاتب حقوق الانسان، وبعض المستشفيات العامة والخاصة، وبعض مدارس الثانوية والمتوسطة، وقابلت بعض المرشدين والمسؤولين في المدارس، وزرت بعض دور الرعاية الاجتماعية في أبها، والتقيت ببعض الموظفين القدماء والحديثين في هذه المؤسسات فذكروا لي قصصاً متنوعة في أسبابها ونتائجها، وبعضها كانت قاسية ومؤلمة على الأفراد والأسر والمجتمع^(١).

٢- القرية والمدينة؛

يغلب على معظم بلاد عسير حياة القرية حتى تسعينيات القرن (١٤/٢٠م)، وإذا كانت مدينتا أبها وخميس مشيط تعد من القرى أو البلدات الكبيرة، وربما نطلق عليها اسم (مدينة)، كما أشار إليها بعض رحالة، ومؤرخي القرن الهجري الماضي^(٢)، وتجولت في حاضرة أبها وبعض مدن وقرى عسير (سراة وتهامة) خلال النصف الأول من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، كما قرأت عن هذه البلدان، وقابلت بعض الأعيان والشيخ والأعلام في خميس مشيط، ورجال ألمع، ومحال عسير، وبعض سواحل البحر الأحمر الشرقية، مثل / الحريضة، والقحمة، والبرك، والصوالحة، وحلي^(٣).

(*) وخرجت ببعض الخلاصات الميدانية، أذكر أهمها في النقاط الآتية:

(أ) أصبح كثير من هذه النواحي يغلب عليها حياة المدينة والمدنية، فأغلب

- (١) انفتاح العالم بعضه على بعض، ودخول وسائل التواصل الاجتماعي بما تحمله من سلبيات وإيجابيات إلى كل ذكر وأنتى، وهذا ما أحدث تغيرات في طباع الناس وسلوكهم.
 - (٢) مناداة حقوق الانسان وبعض الهيئات المحلية والاقليمية والعالمية إلى المساواة بين الرجل والمرأة، وهذا مما جعل بعض النساء يخرجن على العادات والأعراف التي عاشها الآباء والأجداد.
 - (٣) قيادة المرأة للسيارة لها أيضاً تأثير على مناشدات المرأة بالحرية وأحياناً الانفصال والمطالبة بالطلاق.
 - (٤) صدور بعض الأنظمة والقوانين الحديثة في المملكة التي تمكن المرأة (الزوجة) أو البنت أو الأبناء من تقديم شكوى عن العنف الأسري الذي قد ينالهم من أحد أقاربهم حتى لو كان الوالد أو الوالدة.
- (١) تلك الزيارات الميدانية كانت خلال شهري صفر وربيع الأول عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). أرجو من جامعة الملك خالد أن تتشبه قسمها علمياً لعلم الاجتماع وخدمة الأسرة، وأرى أن ذلك ضروري جداً لدراسة ومعالجة بعض المشاكل المجتمعية والأسرية الموجودة في مدن منطقة عسير وقرائها وبواديها.
- (٢) هناك عدد من المؤرخين والرحالة العرب والأجانب الذين زاروا عسير خلال القرن (١٤/٢٠هـ) ودونوا بعض التفاصيل عن مدينتي أبها وخميس مشيط، ومنهم: السير كيناهان كورنواليس، وسليمان شفيق باشا، والشريف البركاتي، وفليبي، وفليب ليبنز، وتويتشل، وشيجر، وفؤاد حمزة، ومحمود شاكرا، وهاشم النعمي، ومحمد أحمد أنور، وعاتق بن غيث البلادي وغيرهم.
- (٣) كل هذه المدن والبلدان، عمتهما التنمية والتطور الذي تعيشه المملكة، وبعضها قديمة تاريخياً وحضارياً في أرضها وأنسائها، وكل ناحية تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.

المؤسسات الإدارية الرسمية قائمة فيها، وفي بعضها مؤسسات تعليمية عالية، ومدارس حكومية وأهلية، ناهيك عن الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والرياضية فهي متوافرة فيها، وبعضها مثل مدن محاليل عسير، وأبها، وخميس مشيط تأتي ضمن المدن الحيوية النشطة في كل مجالات الحياة، ثم تأتي بعدها بلدان، رجال المَع، والبرك، وأحد رفيدة، وجميع هذه النواحي تعيش حياة المدن الحديثة التي تعيشها معظم حواضر ومدن المملكة العربية السعودية.

(ب) وقفت على قري وبوادي هذه النواحي، فرأيت القرى القديمة المشيدة بالأحجار والطين، وأحياناً بالطين فقط وقد أصابها الخراب، وبعضها اندرس فلم يبق منها شيء، وصارت بعض أثارها فقط هي الظاهرة للعيان. وهناك قرى أو أحياء قديمة في خميس مشيط، وأبها، وأحد رفيدة، ومحاليل عسير تم إزالتها بالكامل، وحل محلها أحياء وعمارات حديثة، وصارت من التاريخ الضائع الذي لا يعرفه إلا بعض كبار السن الذين لا زالوا يعرفون ويذكرون بعضاً من معالم تلك القرى والمستوطنات القديمة^(١).

(ج) سمعت حديثاً بعض الأهالي، والعشائر، والمؤسسات الحكومية وعلى رأسها إمارة منطقة عسير، وبعض المحافظات تنادي بالعمل والاجتهاد للحفاظ على ما بقي من القرى القديمة في بلاد عسير (سراة وتهامة)^(٢)، وهذا عمل محمود، لكن حتى تدوين هذه السطور لم أشاهد أعمالاً عملية تفذ هذه الأقوال على أرض الواقع، وتحقيق ما نصبو إليه، والذي تنادي به هذه الإدارات والمؤسسات ليس أمراً سهلاً، فهو يحتاج إلى دعم مالي وجهود كبيرة ومتضافرة من جميع شرائح المجتمع تحت إشراف الإمارة والهيئة العليا للسياسة، وإذا تحقق ذلك فقد نصون شيئاً من تاريخ بلادنا الحضاري^(٣).

(د) رأيت المدن الحديثة والقرى القديمة في سروات عسير وتهائمها، فكانت المنازل ومرافقها في القرى القديمة محدودة، ومواد بنائها الحجر، والطين، والماء، والخشب،

(١) ضريبة الحداثة والمدنية أن الإنسان في هذه البلاد، وفي عموم السروات وتهامة، بل في جميع مناطق المملكة العربية السعودية، قضى على معظم التراث العمراني الذي شيدته وعرفته الأجيال السابقة، ومن ثم ضاع إرث كبير من تاريخ بلادنا نتيجة عدم الوعي، والجهل والأنانية المفرطة التي مارستها المجتمعات الحديثة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

(٢) هناك آلاف القرى القديمة في البلاد السروية وتهامة، ومعظمها لها تاريخ وحضارة ماجدة، وتستحق الصيانة والترميم والدراسة العلمية التوثيقية، مع أن بعضها صارت مهالكة، وكثير من مرافقها اندثرت وبادت.

(٣) في مطلع عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) رافقت سمو أمير منطقة عسير ((الأمير تركي بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود))، إلى سروات بلاد بللسمر ومحافظة تنومة، وأخذني مع بعض الزملاء للوقوف على بعض القرى والقصور والحصون القديمة في بلحمر، ورجوته إذا كان يستطيع فعل شيء أن يسعى لصيانة وترميم بعض القرى الكبيرة والتاريخية المهمة، وقال نحن نعمل ضمن مشروع تطوير منطقة عسير على هذا الأمر. ونأمل أن يتحقق على يديه بعض الخطوات العلمية والإيجابية التي تصب في صيانة شيئاً من هذا التراث والتاريخ الحضاري المهم.

وأحياناً الجص، وربما شيدت بعض أبنية القرية من الأشجار والنباتات وفي تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) استخدم الزنك والإسمنت والحديد لأجزاء من البيوت القديمة. ثم ظهرت العمارة الحديثة، فكانت أكبر وأوسع في مبانيها ومساحاتها، وجرى الكثير من التبدلات والتطوير على الأبنية الحديثة حتى صارت هي الغالبة على حياة المدن والقرى في عموم عسير وبلاد تهامة والسراة. وإذ تأملنا في فن العمارة القديمة والحديثة وجدنا البناء القديم أجمل وأقوى، ويحمل تاريخاً حضارياً محلياً من صنع أهل البلاد، أما العمارة الحديثة فهي مستوردة في تخطيطها، وموادها، والأيدي العاملة التي شيدتها، وخالية من الفن المعماري الأصيل، وقد تظهر أكثر جمالاً وتزيقاً، لكن عمرها قصير، وفوائدها وخدمتها محدودة^(١).

٣- أنواع العمارة:

العمارة القديمة متنوعة في أشكالها واستخداماتها، فمن خلال الوقوف على نماذج من تلك الأبنية في خميس مشيط، وأحد رفيدة، وأبها، ومحافظات البرك، ومحليل، ورجال ألمع نجدتها تتمثل في القرى التي يغلب على طوابق منازلها الدور والدورين في أغلب الأحيان، وربما كان في خميس مشيط، وأبها، ورجال ألمع بيوت وقصور كبيرة تصل أدوارها إلى الخمسة والستة طوابق، وأصحابها من الأعيان، والوجهاء، والأغنياء، وشيوخ القبائل، والتجار، ويربط بين أجزاء القرية الواحدة ممرات ضيقة، وغالباً يتوسط القرية مسجدها، وفي جنباتها أو قريباً منها بعض الآبار أو العيون، ومقبرة، والمزارع، والأحمية من مرافق القرية أو على مقربة منها، وفي بعض القرى الكبيرة في أحد رفيدة، وخميس مشيط، وأبها، ومحليل، ورجال ألمع، وبلدة البرك أسواق أسبوعية، وهناك بعض الطرق القديمة والضيقة التي تصل بين القرى المتجاورة أو القرى والنواحي المتباعدة مثل أحد رفيدة، وخميس مشيط، وأبها، وبعض العقبات الضيقة والصعبة تربط بين بلدان وقرى عسير السراة وتهامة^(٢).

(١) اتمنى أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يعكفون على إصدار دراسات مقارنة بين العمارة القديمة والحديثة في عموم بلدان السراوات وتهامة، وتكون دراستهم تفصيلية عن مخططات ومرافق هذه الأبنية، ومواد بنائها، والأيدي العاملة التي نفذتها، وسلبيات وإيجابيات العمران القديم والحديث، مع التركيز على أن العمارة القديمة تعكس صفحات من تاريخ هذه البلاد المحلي، أما العمارة الحديثة فهي وإن شيدت على أراضي السراوات وتهامة، لكنها فنون معمارية مستوردة في جميع تصاميمها، ومواد بنائها والمعماريين الذين شيدها.

(٢) للمزيد هناك عدد من البحوث والكتب التي اصدرتها عن العمران والحياة الاجتماعية في منظمة عسير خلال القرون الماضية، مثل: ١- أبها حاضرة عسير. ٢- بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر. ٣- عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ). ٤- دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية. ٥- موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢١) مجلداً.

(* العمارة القديمة موضوع واسع يستحق أن يدرس في دراسات توثيقية عديدة، والذي يعني هنا العمارة الحديثة شاهدها في بعض نواحي عسير عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)، واذكر بعضا منها في المحاور الآتية :

١. المدن الكبيرة مثل: أبها، وخميس مشيط، وحواضر محافظات أحد رفيدة، ورجال ألمع، ومحال عسير، والبرك، كل هذه النواحي حواضر كبيرة تتألف من أحياء، والأحياء تتكون من أبنية معمارية عديدة كالمنازل الخاصة، وتتراوح أدوارها من دور إلى أربعة أدوار، وأغلبها من دورين أو ثلاثة، وقد يضاف على الدور الثاني أو الثالث ملحق من عدة غرف ومرافقها^(١). وكل ناحية أو حي في المدينة تربط أجزاءها بطرق مسفلتة تتفاوت في عرضها وأهميتها، فهناك شوارع رئيسية تصل أطراف المدينة مع بعضها، ومنها طرق كبيرة تصل المدينة الواحدة بالمدن والأمكنة المجاورة لها، وعلى جانبي أغلب الشوارع الكبيرة في المدينة الواحدة محلات تجارية متنوعة في مساحاتها وسلعها، ولا يخلو كل حي في المدينة من مساجد لصلاة الفروض، وفي أغلب الأحياء المكتظة بالسكان جوامع لصلاة الجمع والجماعات، وهناك أبنية عديدة في جميع أحياء المدينة الواحدة، كالأسواق التجارية الصغيرة، وفي بعض الأحياء أسواق كبيرة تعرض الكثير من البضائع المتنوعة، ورأيت وسط مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، ومحال، وفي أجزاءها المختلفة مئات الأبنية الخاصة، والعمارات التجارية، بالإضافة إلى محطات الوقود، وصالات الأفراح.

٢. كل المدن الكبيرة وما يحيط بها مليئة بالأبنية الرسمية الحكومية، مثل: إدارات الشرطة، والدفاع المدني، والهلال الأحمر، ومؤسسات التعليم العام للبنات والبنين، والمحاكم، وكتابات العدل، ومؤسسات الشؤون الاجتماعية المختلفة، وفي أطراف مدن أبها وخميس مشيط وأحد رفيدة المدينة العسكرية، والمطار العسكري، والمطار المدني، وجامعة الملك خالد وكلياتها المتعددة (نظرية وعلمية) للطالبات والطلاب، كما يوجد في محافظات رجال ألمع، ومحال عسير، والبرك مقرات مراكز المحافظات ومؤسسات إدارية حكومية عديدة، وإلى الشمال من مدينة محال يأتي فرع جامعة الملك خالد في تهامة الذي يتكون من عدة كليات للبنين والبنات، وعدد من مؤسسات التعليم المهني والفني في معظم المدن الرئيسية العسيرية السروية والتهامية.

والناظر في مدن أبها، وخميس مشيط، ومحال عسير يرى فيها أسواق (مولات) عالمية، مثل: الراشد، وعسير مول، وأبها مول، وهابير بنده، وستر بوينت، والواحة. ولا

(١) هذا ما شاهدته في أغلب أحياء مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، ومحال، والبرك، وبلدتي رجال ألمع والشعيبين في محافظة رجال ألمع خلال النصف الأول من عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م).

تخلو هذه الحواضر من أسواق شعبية تعمل طوال الأسبوع، وأسواق للخضار، ومدن صناعية لخدمة كل الأعمال الحرفية والصناعية الخاصة بالسيارات والمعدات الميكانيكية، وجميع هذه الميادين ذات عمران حديث موادها الإسمنت والحديد، وكل المواد المعمارية الحديثة من دهانات، وبلاط، ورخام، وزجاج، والمنيوم، والمدن الصناعية وأماكن خدمة السيارات مثل، الورش، والبناشير، وأدوات التنجيد، وزينة السيارات، فغالبا تكون أماكنها مشيدة بالبلوك والإسمنت، ثم يستخدم الحديد والزنك لتغطية سقوفها، وبعض مرافقها الأخرى^(١).

ونجد طرق كبيرة وسريعة تربط بين مدن ومحافظات عسير التهامية والسروية، وهناك ثلاث عقبات تخرج من أبها حتى تصل إلى محافظات رجال ألمع، ومحايل عسير، الأولى عقبة شعار التي تسير من أبها إلى شعار ثم تنزل من جبال عالية الارتفاع حتى وادي تية وتواصل سيرها حتى مدينة محايل. وهذه العقبة تم إنشاؤها في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ويوجد فيه (١١) نفقا، وهي الشريان الرئيسي الذي تسلكه السيارات الكبيرة (التريلات) وتنقل تجارات الساحل وجدة إلى جبال عسير، ويظهر على أجزاء من هذه العقبة القدم، وتحتاج إلى صيانة جادة وسريعة، لأنها لو تعطلت فقد تشل حركة الاقتصاد في الأجزاء السروية من النماص إلى نجران^(٢).

والعقبة الثانية تسير من أبها إلى السودة ثم تسلك جبالاً وعرة جداً حتى بلدة الشعيين في رجال ألمع، ثم تواصل سيرها إلى محافظة محايل، وهذه الطريق صعبة جدا ولا يسلكها إلا السيارات الصغيرة والقوية، ولا تصلح أبداً أن تكون مسلكا للسيارات الكبيرة (الشاحنات) لكنها حلت مشكلة كبيرة لمحافظة رجال ألمع، وجعلت أهلها يتصلون بحاضرة أبها، وسروات عسير^(٣). أما العقبة الثالثة فهي ضلع، أو ضلاع، هكذا ينطقها بعض الناس، وتخرج من أبها جنوبا حتى تصل محافظة الدرب، ويسير منها فرع قبل مدينة الدرب حتى يدخل بلاد البتيلة، وقرية رجال ألمع، والشعبيين في محافظة رجال ألمع، وفرع آخر، وهو الأصل، يواصل امتداده إلى الدرب، ثم الشقيق، ثم الحريضة، حتى القحمة، والبرك، ثم القنفذة، والليث، ومكة المكرمة، وجدة. ويخرج منه فرع آخر إلى جازان وبلاد اليمن^(٤). وعقبة ضلع قديمة ومذكورة في عدد من المصادر والمراجع

(١) كل هذه الأنماط المعمارية (الأسواق، والمدن الصناعية والمهنية) تستحق أن يصدر عنها بحوث علمية توثق بالصور الفوتوغرافية والمشاهدة والمراجع والمصادر والوثائق المكتوبة.

(٢) هذا ما عرفته وشاهدته وأنا عبرها منذ ثلاثة عقود حتى هذا العام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وهذه العقبة عليها ضغط كبير جدا من حركة السيارات الكبيرة (الشاحنات) التي لا تجد طريقا غيرها للصعود من تهامة عسير إلى بلاد السروات الممتدة من نجران وحدود اليمن إلى محافظات تومة، والنماص، وبلقرن.

(٣) فتح هذه العقبة من حسنة الأمير خالد الفيصل (أمير منطقة عسير السابق) الذي بذل جهودا كبيرة في تعميرها، وربط بلاد رجال ألمع مع مدينة أبها وسروات عسير، وذلك خلال العقد الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهذه العقبة وعقبة شعار موضوع لم يدرس وتستحق أن تكونا عنوانا لدراستين علميتين.

(٤) هذا الطريق الساحلي الدولي الذي يخرج من الحجاز إلى جازان حتى اليمن، وكان في السابق طريقا صغيرا ومحدودا، وأصبح اليوم الشريان الرئيسي والمهم الذي يربط بين جدة ومكة ومنطقة جازان حتى مدن اليمن الرئيسية التهامية.

والوثائق التاريخية، واستخدمها عدد من الجيوش العسكرية خلال القرون الماضية المتأخرة، وما زالت حتى اليوم وعرة وضيقة، وبخاصة في أجزائها العلوية، فالسيارات الصغيرة تسلكها بسهولة، لكن السيارات الكبيرة تتجنبها لخطورتها، وإذا سلكتها بعض الشاحنات أو (التريلات) فيجب أن يكن سائقوها حذرين متيقظين لصعوبتها، وقد تحطم فيها الكثير من السيارات الكبيرة خلال العقود الماضية^(١).

والطرق السريعة من الأبنية الحديثة، فالمحافظات العسيرية السروية والتهامية يربط بينها طرق كبيرة وسريعة (Highways). مثل الطريق الذي يخرج من نجران إلى محافظات ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وأحد رفيدة، ثم خميس مشيط، وهو طريق مزدوج بعرض تقريبا (٦٠م)، وطرق أخرى عديدة ومزدوجة تربط بين أبها وخميس مشيط، ومن أقدمها الطريق الذي يخرج من غرب مدينة الخميس، ثم يسير إلى بلدة حجلا (مدينة سلطان) ثم أبها^(٢). وطريق آخر يخرج من حي الضيافة وعتود في خميس مشيط ثم يأتي من جنوب مطار أبها الدولي حتى حي المنسك ثم حزام أبها، ويعرف باسم (شارع المئة)، وطريق الملك عبدالله الذي يخرج من جنوب شرق أبها حتى محافظة أحد رفيدة^(٣)، وهناك طرق عديدة يجري العمل فيها حاليا حتى تتصل المدينة الجامعية في الفرعاء (القرعاء) مع أجزاء عديدة في حاضرة أبها وما جاورها^(٤)، وهناك طرق أخرى مزدوجة في شمال مدينتي أبها وخميس مشيط، وما زال العمل فيها جاريا، وعند إنجازها سوف تربط أجزاء منطقة عسير الشمالية، مع حاضرة أبها: ومن أهم الطرق التي تخرج من أبها تجاه الشمال، طريق أبها تنومه، النماص، الباحة، الطائف، وهو طريق ترابي قديم تعود بداياته إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأصبح اليوم مزدوجا بعرض يقارب (٤٠-٥٠م)^(٥). وطريق آخر يخرج

(١) هذا ما عرفته وعاصرته منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي طريق أيضاً لم تخدم بحثياً، وتستحق أن تكون عنواناً لبحث علمي رصين.

(٢) هذا الطريق الذي يمتد من نجران إلى خميس مشيط ثم أبها قديم، وله ذكر في عدد من الكتب والوثائق التاريخية، وكان في الماضي صغيراً وترابياً، وسلكه في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) عدد من الجيوش، والرحالة العرب والغربيين، ومنذ عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت الدولة في توسيعه حتى صار شرياناً رئيسياً يربط منطقة عسير مع غيرها، ويوجد على جنباته محلات تجارية يصعب حصرها، متنوعة في تجارتها ومعرضاتها.

(٣) طريقاً المئة، والملك عبدالله، تم استحداثهما خلال ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وما زالت تتم الحياة العمرانية على جانبيهما، وطريق المئة يتطور عمرانياً بشكل أسرع، وقد يتطور طريق الملك عبدالله أكثر فأكثر بعد انتقال الجامعة إلى المدينة الجامعية في الفرعاء (القرعاء)، وبعد بدء العمل في مدينة الملك فيصل الطبية التي يجري تشييدها على هذا الطريق السريع.

(٤) من أكبر العقبات التي تواجه جامعة الملك خالد في الانتقال من حي القريقر في أبها إلى الفرعاء (القرعاء) هي الطرق، والجامعة، والإمارة، ووزارة المواصلات يسعون جاهدين لتذليل هذه المشكلة وحلها، وفتح طرق أسهل وأسرع وأوسع تربط بين مدن عسير الرئيسية والمدينة الجامعية.

(٥) عندما بحثت عن الطرق التي تربط بين سروات عسير والحجاز، وجدت معظم المصادر الإسلامية المبكرة

من مدينة خميس مشيط إلى بيشة، أو طريب وتثليث ثم الدواسر حتى الرياض، وهذا الطريق الأخير مزدوج، وهو قديم وبدأت الدولة في توسيعه وصيانته منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى صار مزدوجاً بعرض يقارب (٥٠م)^(١). أما طريق خميس مشيط بيشة فما زال العمل فيه جارياً، وأغلبه حتى الآن خط واحد، وقد يكون مزدوجاً قريباً، ويخرج من شرق مدينة بيشة طريق الرين الذي يربط بيشة بالرياض^(٢).

والطرق في المحافظات التهامية (رجال ألمع، ومحاليل، والبرك) في مستوى أقل من طرق المحافظات السروية، فهناك شريان رئيسي يخرج من رجال ألمع إلى محاليل، ثم يسير شمالاً إلى بارق، والمجاردة، والعرضيات حتى المخواة في تهامة الباحة، ويسير منه فرع عبر عقبة الباحة إلى سروات غامد وزهران، وآخر يسير غرباً حتى يتصل بطريق مكة جازان الدولي في بلدة المضيلف^(٣). وطريق آخر يسير من محاليل إلى قنا والبحر، ثم بحر أبو سكينه حتى البرك، وآخر العمل فيه جارٍ يربط محافظة محاليل عسير بمركز الصوالحة على ساحل البحر الأحمر، وجميع هذه الطرق مسار واحد، وما زالت تحتاج إلى خدمة أكبر حتى تصبح طرقاً مزدوجة^(٤).

وجميع الطرق الأنف ذكرها في السروات وتهامة حظيت بالكثير من العناية والخدمات العمرانية، وبعضها قامت على جسور خراسانية وأنفاق عديدة صرفت عليها الدولة أموالاً طائلة، ناهيك عن متابعة صيانتها، وإصلاح ما يحتاج إلى صيانة منها، بالإضافة

تذكر فقط الطرق السروية الشرقية، والطرق الساحلية أو السهلية التهامية، ولا تذكر أي طريق يسير من قمم السروات بين أبها والطائف، ولا يعني أن المصادر لم تذكر هذا الطريق، أنه لم يكن هناك درب يسير على قمم السروات، لكن مدوني التراث الأوائل ربما لم يعبروا هذا الطريق، ولا يعرفون عنه شيئاً لصعوبة تضاريس أعالي الجبال، لكن كان هناك طريق من أبها، وتثومة، والنماص، والباحة حتى الطائف ومكة المكرمة، ونجد الوثائق الحديثة والرواة في القرن (١٤هـ/٢٠م) يذكرون هذا الطريق ومحطاته، ووعورة مسالكه، وقد عاصرت ووعورة هذا الطريق منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وخلال العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) لكن لم يأت عام (١٤١٠هـ/١٩٩٩م) حتى صار طريقاً مسفلتاً يخرج من أبها إلى الطائف، واليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) أصبح مزدوجاً تسير فيه جميع السيارات بيسر وسهولة.

(١) كان هذا الطريق صغيراً وخالياً من الخدمات خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ويمر على بلاد طريب، وتثليث، والسليل، ووادي الدواسر، والأفلاج، حتى الخرج ثم الرياض، وأصبح اليوم شارعاً كبيراً مزدوجاً بعرض حوالي (٥٠-٦٠م). وعلى جنباته الكثير من الخدمات التي يحتاجها المسافرون.

(٢) طريق بيشة الرياض، المعروف حالياً بـ (طريق الرين) اتجاه واحد، وتتقصه في الوقت الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) الكثير من الخدمات، مثله مثل طريق خميس مشيط الرياض عبر وادي الدواسر خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ويذكر أن العمل جارٍ على طريق الرين حتى يكون طريقاً مزدوجاً في السنوات القريبة القادمة.

(٣) سبق أن قمت برحلة في هذا الاتجاه من محاليل إلى محافظتي المخواة، وقلوة، وذكرت بعض التفصيلات عن هذا الطريق والبلاد التي يسير فيها، انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني عشر)، وانظر كتاب: منطقة الباحة، الجزء الأول.

(٤) تاريخ الطرق في تهامة من مكة المكرمة إلى جازان موضوع جديد في بابته يستحق أن يدرس في أكثر من كتاب أو رسالة علمية.

إلى مقرات المحافظات وما يتصل بها من أحياء، أو مراكز، أو قرى فقد نالها الكثير من رعاية وزارتي المواصلات والبلديات، والمحافظات السروية حظيت بخدمات أفضل وأجود مقارنة بمحافظات رجال ألمع، ومحايل، والبرك، وما جاورها من المحافظات التهامية^(١).

تحتل القطاعات الصحية عدداً من الأبنية المعمارية الحكومية مثل: مستشفى عسير، ومستشفى أبها، ومستشفيات خميس مشيط، وأحد رفيدة، ومحايل عسير، والبرك، وجميعها عمارات حكومية حديثة تتعدد أديارها، ومرافقها، وأقيمتها^(٢). وفي كل المحافظات المذكورة في هذا البحث عشرات المراكز الصحية الرسمية والأهلية، وهناك مستشفيات خاصة عديدة من أكبرها وأهمها: (١) مستشفى أبها الخاص. (٢) مستشفى الحياة^(٣). (٣) مستشفى علاج، وغيرها مجمعات ومستوصفات طبية تجارية في مدن أبها، وخميس مشيط، ومحايل^(٤).

وفي مجال السياحة والترفيه تنتشر الكثير من الحدائق والمنتزهات في كل مدن وأرياف بلاد عسير السروية والتهامية، ولا تخلو أي مدينة أو ناحية كبيرة من شقق مفروشة، وشاليهات، أو فنادق تتفاوت في مساحاتها، وطوابقها، ودرجاتها المعمارية، ومستوى خدماتها، وتكثر هذه الأبنية ومرافقها في مدن أبها، وخميس مشيط، ومحايل عسير^(٥).

(١) بذلت الدولة جهوداً كبيرة في إيصال التنمية العمرانية الحديثة إلى جميع مدن وحواضر وقرى المملكة العربية السعودية، وهناك تفاوت في بعض الأمكنة حسب الموقع، وحسب الأهمية.
(٢) كل هذه المستشفيات قائمة حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) وتودي دورها في خدمة الناس صحياً، وأكثرها خدمة ورعاية مستشفى عسير، وقد يفتح مستشفى الجامعة في الفرعاء (القرعاء)، ومدينة الملك فيصل الطبية وترتفع نسبة الخدمات وجودتها في عموم منطقة عسير، وتاريخ هذه المستشفيات موضوع جديد يستحق أن يدرس في بحوث علمية عديدة.

(٣) يشاهد الانسان اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) قيام أكثر من عمارة في مدينتي أبها وخميس مشيط، على أن تكون مستشفيات خاصة، وبعضها متعدد الأدوار، ومن أشهرها عمارتان جديدتان على حزام أبها، وتزيد أدوار كل واحدة منهما عن (١٢) طابقاً، إحداهما سوف تكون مقراً لمستشفى أبها الخاص، والأخرى لمستشفى الحياة، وإن تجولت في مدن محايل، ورجال ألمع، وخميس مشيط، وأبها ترى عدد من العيادات الطبية الخاصة للأسنان، والجلدية، ومجالات أخرى عديدة، كما يوجد عشرات الصيدليات التجارية المنتشرة في كل ناحية أو حي من أحياء تلك المدن وغيرها من مدن وحواضر منطقة عسير.

(٤) كل هذه المستشفيات والمستوصفات الخاصة تقدم خدمات طبية حسنة، لكن مشكلتها أن أسعارها عالية جداً، والفقير ومتوسط الدخل لا يستطيع الحصول على العلاج والخدمات الصحية من خلالها، ويجب أن يكون عندها بعض المبادرات والخدمات المجانية المخصصة للأسر الفقيرة، والأفراد وأولياء الأمور الذين لا يستطيعون رعاية أنفسهم وأفراد أسرهم من خلال هذه المؤسسات الطبية التجارية، وتاريخ الطب والتطبيق في منطقة عسير منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) موضوع مهم وحيد، يستحق أن يكون عنواناً لأكثر من رسالة أو بحث علمي.

(٥) لا تخلو أي ناحية في بلاد عسير السروية والتهامية من أمكنة سياحية جميلة، وتشمل أبنية ترفيهية عديدة، وأشهر المواقع السياحية وأكثرها ازدحاماً تكون في مناطق السود، والقرعاء، والحبله، والحدائق الكبيرة في مدينتي أبها، وخميس مشيط، ومحايل عسير. تاريخ السياحة وبخاصة مرافقها المعمارية، وما يقدم من خلالها للزوار والسياح موضوع مهم وحيد يستحق أن يدرس دراسة علمية.

وفي محافظات خميس مشيط، وأحد رفيدة، وأبها، ومحائل عدد من الآبار القديمة التي ما زالت تستخدم للري، ونقل مياهها إلى البيوت والحدائق والمزارع، كما يوجد بعض السدود الحديثة، وأكبرها وأشهرها سد أبها، الذي يقع غرب مدينة أبها، وتطل عليه أحياء مدينة أبها الجديدة، ومشاريع المياه المحلاة، ممثلة في إدارتي المياه والتحلية في أبها. كل هذه المنشآت حديثة، وتتراوح تواريخ بداياتها منذ النصف الثاني في القرن (١٤/هـ/٢٠م) مثل سد أبها، وأبنية معمارية أخرى عديدة خلال العقود المتأخرة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٢هـ/١٩٨٠-٢٠٢٠م)^(١).

وأشير فقط هنا إلى عمارة الأسواق القديمة والحديثة، وإلى المساجد والجوامع في السابق وفي وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وجميعها من التراث المعماري الذي يجب الوقوف عليه وحفظ شيء من تاريخه، وقد تجولت في بعض المحافظات التهامية والسروية خلال شهري جمادى الأولى والثانية ورأيت نهضة معمارية حديثة في كل مجال، والأسواق والجوامع والمساجد الحديثة مما لفت نظري فهي متناثرة في كل مدينة، أو حي، أو طريق فرعي أو رئيسي، ورأيت أيضاً أسواقاً أسبوعية أو شعبية قديمة، وبعض المساجد القديمة في بعض المحافظات أو القرى، وقد أصاب الكثير منها الخراب، بل بعضها لم يبق إلا ذكرها فقط، وهناك الأسواق الأسبوعية التي تم تحويلها إلى أسواق شعبية، وخف أثرها وتأثيرها في حياة الناس. وكل هذه المعالم في القديم والحديث تستحق أن يجري عليها دراسات مقارنة تبين عصورها، وما قدمت من خدمات أو أثر وتأثير على أنسان منطقة عسير على الأقل، منذ القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

٤- اللباس وأدوات الزينة:

تاريخ اللباس والزينة قديماً موضوع يطول شرحه، وكتب التراث فصلت الحديث عن أنواع الألبسة التي عرفها واستخدمها أنسان شبه الجزيرة العربية، وقد دونت عدد من البحوث والتفصيلات عن لباس سكان منطقة عسير خلال العقود الأربعة الماضية، وليست مختلفة كثيراً عن لباس وزينة الأوائل في بلاد السروات وتهامة، أو اليمن، أو الحجاز، أو حواضر إسلامية أخرى داخل جزيرة العرب^(٢).

(١) تاريخ بناء السدود، وتحلية المياه في عسير، والآبار والعيون من العناوين الجديدة التي يستحسن دراستها وتوثيق بداياتها وتطورها الحضاري منذ النصف الثاني من القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وجامعة الملك خالد وكلياتها وأقسامها العلمية عليها مسؤوليات كبيرة تجاه خدمة البحث العلمي في كل مجال يعود بالفائدة على أرض وسكان منطقة عسير.

(٢) للمزيد انظر بعض مؤلفاتي، مثل: (١) عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ). (٢) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (ثلاث طبعات)، وانظر دراسات أخرى عديدة في موسوعة: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، (الطبعتان الأولى، والثانية) (٢١) مجلداً. وجميع الكتب الأنف ذكرها وغيرها على موقعي الإلكتروني (prof-ghithan.com).

من خلال رحلاتي في بعض محافظات عسير السروية والتهامية عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م) اجتهدت في مشاهداتي وتأملاتي على جمع مادة علمية عن ألبسة وزينة الناس المعاصرة، وخرجت بالعديد من الملاحظات التي أذكر أهمها في النقاط التالية:

(أ) زرت العشرات من أسواق الملابس الكبيرة والصغيرة، ومحلات الخياطين، وحاولت جمع بعض المعلومات عن أدوات الزينة والتجميل للرجال والنساء، واتضح لي أن جل الألبسة والزينة الداخلية والخارجية مستوردة من أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، والقائمون على طرق تصميمها، وتفصيلها، وخياطتها غير سعوديين وبعضهم غير عرب، ومنها ما يجري تفصيله وخياطته محليا داخل المملكة، وأغلبها مصنوعة في بلدان عديدة في العالم، وتصدر جاهزة إلى الأسواق الداخلية^(١).

(ب) وجدت الألبسة ثلاثة أنواع: (١) لباس الرأس. (٢) لباس البدن داخليا وخارجيا. (٣) لباس القدم. كما وجدت أن ألبسة النساء والأطفال تفوق في أنواعها، وأشكالها، وطرق تفصيلها ألبسة الرجال، وكثير من القائمين على بيع الألبسة، وبخاصة النسائية، جلهم من الإناث، وجميعهن سعوديات^(٢).

(ج) أثرت الثقافة والإعلام الخارجي على تغير نظام، وتفصيل وأنواع، وأشكال ألبسة النساء والرجال وزينتهم، فأصبح التقليد للغير هو السائد على حياة سكان المملكة العربية السعودية بشكل عام، ومحافظات، وقرى منطقة عسير التهامية السروية جزء من هذا العالم الكبير، والنساء أكثر من تأثر بالألبسة الحديثة والمعاصرة، وأصبحن صغارا وكبارا يحرصن على لبس القصير، والضيق، والبنطال والقميص في منازلهن، ومناسباتهن الاجتماعية المختلفة، وكشف الرأس للمرأة صار هو السائد والمتبع في بيوتهن، وأعمالهن واجتماعاتهن العامة والخاصة^(٣). ولم تسلم بعض صغار البنات،

(١) للوصول إلى هذا الرصد زرت أكثر من مئة سوق ملابس وزينة في أسواق الراشد مول، وعسير مول، والشبلي، ودرعة، وأسواق أخرى عديدة في مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، ومحال عسير، كما زرت عددا من محلات الخياطة الرجالية وسط مدن أبها، ومحال، وخميس مشيط.

(٢) سبق أن درست بعض الألبسة والزينة في الماضي، وكانت في أغلبها محلية، وربما جلب بعضها من أسواق الحجاز، وكانت أيضا محدودة في أنواعها، وأعدادها للفرد أو الأسرة الواحدة، وأدوات الزينة تكاد تكون محلية مثل: الحناء، وبعض الأشجار المحلية كالريحان، والشاي، والفل، والياسمين، والكحل للعيون يجلب من بعض مدن المملكة أو من اليمن، أو بعض دول أفريقيا. بعكس ألبسة وزينة اليوم فهي كثيرة وتصدر من كثير من دول العالم وأولها الصين التي امتلأت أسواق العالم بمصنوعاتهم المختلفة. وكان العاملون على البيع والشراء في محلات الملابس النسائية من الرجال، وفي ثلاثينات هذا القرن، أصدرت وزارة العمل أمرا باستبدالهم بنساء سعوديات، وهذا أفضل وأحسن.

(٣) ما زال أغلب النساء في محافظات تهامة وسراة عسير يحافظن على العباءة والحجاب عندما يخرجن إلى الأسواق والمنتزهات وغيرها، وبعض النساء، وهن قلة، صرن يذهبن إلى الأسواق وخارج بيوتهن كاشفات الوجه، وأمل أن لا تتدهور أحوالهن فيخلعن الحجاب، ويلبسن القصير والبنطال في الخارج وأمام الرجال الأجانب.

وبخاصة من تتراوح أعمارهن بين (١٢-١٥) سنة من خروجهن حاسرات الرأس، ولبس البنطال والقميص فقط بدون العباءة، وبعض الرجال وكثير من الشباب السعودي يلبسون البنطال والقميص، ورؤوسهم غالباً حاسرة في الأسواق والأماكن العامة^(١)، أما غير السعوديين، ومن كل الأجناس، فلباسهم الرئيسي القميص والبنطال^(٢).

(د) مصطلحات (أسماء، وأدوات) الألبسة والزينة قديماً وحديثاً من الموضوعات الجديرة بالجمع والدراسة والتوثيق. والمصطلحات القديمة ربما تكون سهلة لمحدوديتها، والكثير منها عربية صرفة، بعكس أدوات الزينة والألبسة الحديثة فهي كثيرة جداً، والكثير منها أسماء أجنبية ودخيلة على ثقافتنا ولغتنا وتراثنا العربي^(٣).

٥- الأظعمة والأشربة:

معظم الأشربة والأظعمة القديمة من مصادر أهل البلاد الحيوانية والزراعية، وربما جلبوا بعض الطعام والشراب المحدود من أسواق الحجاز، أو اليمن ونجران، وحتى تسعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) كنت أرى في مدن وقري عسير التهامية والسروية بعض الأظعمة المعلبة المستوردة من الحجاز، وبعضها يُصدر من مدن وأمكنة عديدة خارج المملكة العربية السعودية، كما وجدت في بعض المصادر وبخاصة كتب الرحالة الأجانب ذكر بعض الأشربة والأظعمة التي شاهدها في أسواق محایل، والبرك، وأبها، وخميس مشيط خلال النصف الثاني من القرن (١٤/هـ/٢٠م)^(٤).

واطلعت على عشرات الوثائق التي تعود إلى القرنين (١٣-١٤/هـ/١٩-٢٠م) وفيها مادة علمية كثيرة عن بعض الأشربة والأظعمة التي تباع وتشتري في أسواق بلاد عسير التهامية والسروية، وهناك الكثير من المواد الغذائية التي تصدر من القنفذة وجازان إلى أسواق محایل ورجال ألمع، وأيضا بعض المحافظات السروية تصدر بعض حبوبها

(١) ومن القرارات الهادفة أن الدولة تمنع الموظف الحكومي أن يذهب إلى مقر عمله في لباس آخر غير الثوب والفترة، والعقال، ونشاهد بعض الرجال والشباب السعوديين قد يذهبون إلى أعمالهم في القطاعات الخاصة وبعض المؤسسات والشركات مرتدين القميص والبنطال والمؤسف أن بعض طلاب الجامعة يذهبون إلى كلياتهم ومحاضراتهم حاسري الرأس، وربما جاء بعضهم في بنطال وقميص، ويجب على الدولة أن توجه، وتدعم كل الرجال والشباب على أن يحرصوا على لباس الثوب والفترة، وإذا لم تتوفر الفترة فعلى الأقل الثوب السعودي لكونه اللباس الأهم والدائم لكل السعوديين.

(٢) تاريخ الألبسة الحديثة في منطقة عسير، أو في عموم السروات وتهامة، ومقارنتها مع الألبسة القديمة موضوع لم يدرس، يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية من بداية القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢/هـ/٢٠٢٠م).

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يصدر معجماً للألبسة القديمة والحديثة وأدوات الزينة في عموم عسير، أو بلاد تهامة والسراة.

(٤) موضوع الشراب والطعام في عسير، أو بلاد السروات وتهامة خلال القرن (١٤/هـ/٢٠م) موضوع لم يدرس إطلاقاً، ويستحق أن يكون عنواناً لعدد من البحوث والرسائل العلمية.

وحيواناتها إلى أسواق الحجاز، وأسواق أخرى عديدة في تهامة والسراة^(١).

أما الأشربة والأطعمة الحديثة، فقد زرت عشرات الأسر في السراوات وتهامة خلال السنوات الماضية المتأخرة، كما ذهبت إلى عدد من المطاعم في مدن وقرى منطقة عسير، وحضرت بعض المناسبات الاجتماعية العامة، وزرت بعض مستودعات الأشربة والأطعمة الكبيرة في محایل عسير، وأبها، وخميس مشيط، وترددت على عشرات البقالات الصغيرة داخل المدن والقرى، أو على قارعة الطرق الرئيسية التي تربط محافظات السراة مع بعضها، وفي أجزاء من محافظات محایل عسير، ورجال المَع، والبرك، وخلصت إلى عدد من الموضوعات العامة^(٢)، مثل:

(أ) مستودعات الأغذية الكبيرة، والمتاجر والبقالات الكبيرة والصغيرة المتناثرة في كل مكان من بلاد عسير تعكس كميات الأطعمة والأشربة الموجودة، ومعظمها مستوردة من خارج المملكة العربية السعودية، وبعضها من مدن المملكة الكبرى، وتشمل الأطعمة والمواد الغذائية في هذه الأمكنة مشتقات نباتية، وربما تكون الأقل، أما المشتقات الحيوانية فهي الأكثر في هذه المتاجر، والمطاعم، وحتى المنازل^(٣).

(ب) وفي أسواق الفواكه والخضروات والأسواق الشعبية الكثير من السلع المستوردة، مثل: الموز، والبرتقال، والتفاح، والعنب، والجوافة، والكمثرى، واليوسفي وغيرها، وأغلبها جاءت من دول عربية وإسلامية وأجنبية، ومنها المحلي المزروع في بعض مزارع عسير، وجازان، ووادي الدواسر، والقصيم، أما الخضروات كالفاصوليا والباامية، والجزر، والطماطم، والبصل، والخس، والبقدونس، والكرات، والفلفل الأخضر والحرار، والباذنجان، والملوخية، والسبانخ، والملفوف، وغيرها فهي زراعة محلية في بعض مدن وقرى منطقة عسير وما جاورها من بلدان الجنوب السعودي^(٤).

(١) التجارة في المواد الغذائية والأشربة التي عرفتها منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجديدة في ميدانها، جديرة بالدراسة التوثيقية والتحليلية. أمل أن نرى إحدى طالباتنا، أو أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الجنوب السعودي، فيدرس هذا الموضوع دراسة علمية. للمزيد عن تاريخ الطعام والشراب في بعض بلدان تهامة والسراة، انظر غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، وانظر بحثاً متفرقة في هذا الباب في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢١) مجلداً.

(٢) ذكرت كلمة (العامة) لأن الحديث عن الأشربة والأطعمة الحديثة موضوع كبير جداً تدون معلوماته في عدد من المجلدات الكبيرة، والإشارة إلى مثل هذا المحور بشكل عام قد يدفع بعض طلاب الدراسات العليا، أو الباحثين إلى دراسته في عمل علمي كبير وواثق.

(٣) تلك المشتقات الحيوانية تشمل الدجاج، والأغنام، والماعز، والأبقار، والأسماك، والجمال. والمشتقات النباتية كالأرز، والشاهي، والمعلبات أو المتلجات النباتية المختلفة، والأشربة أيضاً أصناف كثيرة، وجميعها مصنعة في داخل البلاد وخارجها، ومن الأسواق التي زرتها في شهري صفر وربيع الأول عام (١٤٢٢هـ/٢٠٢٠م). أسواق بندة، والغنيم، والغنيم، وفي خميس مشيط، وزرت مستودعات ابن محيي وأبو حمامة في أبها.

(٤) تاريخ الطعام والشراب، والثروة الحيوانية والزراعة في مناطق عسير، ونجران، وجازان، والباحة، والطائف خلال القرنين الماضيين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات المهمة والجديرة أن تدرس في عدد من البحوث العلمية.

(ج) مما شاهدته في المناسبات الاجتماعية العامة كالزواج، والأعياد، وإكرام الضيوف، واجتماع أفراد القبيلة، أو القرية وغيرها من الاحتفالات تقدم الكثير من الأطعمة المتنوعة في أزواقها، وألوانها، ومقاديرها، وتشمل الأطعمة النباتية والحيوانية، أما الأشربة فهي أيضاً متعددة الأشكال والمصادر، ولاحظت أن السواد الأكبر من سكان المنطقة يبالغون في تقديم الأشربة والأطعمة في معظم ولائهم ومناسباتهم الصغيرة والكبيرة، وينتج عن ذلك إسراف ومبالغة في إهدار الشراب والطعام الذي قد يبقى الكثير منه، فيرمى ولا يجد من يأكله^(١).

(د) والباحث عن المطاعم التجارية، والبوفيات، ومطابخ المندي والولائم يجد عشرات الأنواع من الأشربة والأطعمة التي جميع موادها مجلوبة من أسواق ومستودعات الأغذية والخضروات وجل المطاعم وأكبرها في مدينتي أبها وخميس مشيط كالمطاعم الشامية، والهندية، والصينية، والعربية (الشعبية) التي معظم أكلاتها يمنية وسعودية، وأحياناً خليجية، وهناك مطاعم بخارية، ومصرية، وباكستانية، ولا تخلو محافظات رجال ألمع، ومحاليل، والبرك من بعض المطاعم، لكنها تأتي في مرتبة ثانية، بعد أبها وخميس مشيط من حيث النوع، ومستوى الجودة، وفي بلاد البرك ومحاليل أماكن تقدم الأسماك الطازجة لمن أراد إعدادها في المنزل، وفيها أجزاء تقدم أسماكاً مطهية محلياً لمن يرتادها من الزبائن^(٢).

(هـ) أما الأشربة والأطعمة داخل المنازل، فلا تختلف كثيراً عن الأطعمة المعروضة في المطاعم والبوفيات والمطابخ العربية والشعبية، والمواد الأولية لكل طعام أو وجبة في المنزل مجلوبة من أسواق الخضار، والمواد الغذائية الصغيرة والكبيرة، أو من بعض المستودعات الكبيرة التي تباع بالجملة والمفرق، والذي يقوم بإعداد الأشربة والأطعمة في البيوت هم النساء، وأحياناً يكون في بعض المنازل خادمت وافدات من بلدان عربية وأجنبية، ومعظمهن من بلدان آسيوية، وبعض دول أفريقيا كالمغرب، وإثيوبيا، وكينيا، وربما الصومال^(٣)، والوجبات في المنازل هي الإفطار، والغداء، والعشاء، لكنها اختلفت عن

(١) هذه ظاهرة لاحظتها في الكثير من المناسبات، وعندما يلام صاحب الوليمة على الإسراف، يقول (نحن نستحي أن يقل الطعام والشراب)، وهذه ثقافة غير جيدة، فكيف يستحي من الناس، ولا يستحي من رب الناس؟ فيقع في ذنب كبير بالتبذير والإسراف، ويجب أن ينشر الوعي بين الناس، وتقدم الولائم في حدود المعقول فيؤكل الطعام، ولا يرمى ويتلف.

(٢) مطاعم المأكولات البحرية في معظم مدن عسير الكبرى، لكنها غالباً تقدم أسماكاً متلجة، أما الأمكنة التي تقدم أسماكاً طازجة فهي قليلة، وعادة يكون لها أسواق أو دكاكين تباع أنواع الأسماك، وهناك مطاعم متخصصة فقط في بيع أو إعداد الأسماك البحرية الطازجة التي تجلب من البرك، والشقيق، وجازان.

(٣) في القرون الماضية حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كان وجود الخادمت في المنازل نادراً، وإن وجدن ففي بيوت الأمراء، والأعيان، وبعض شيوخ القبائل، وكان في هذه البيوت سابقاً بعض العبيد الرجال الذين يقومون على خدمة سادتهم في أمور عديدة مثل طهي الولائم الكبيرة، وعمل القهوة والشاي للضيوف ومن يرتاد بيوت أولئك الأعيان. يوجد لدى الباحث العديد من الوثائق التي تعكس الحياة الاجتماعية في بعض بيوت الأعيان في قرى وبلدات عديدة في منطقة عسير وعموم بلاد السراة وتهامه.

السابق حيث كانت أوقات إعداد هذه الوجبات وتناولها ثابتة في الصباح، والظهر، وبعد المغرب، وقد يأتي بينها بعض الأشربة والأطعمة الخفيفة، أما في الوقت الحاضر، فلم يعد هناك وقت محدد لتناول هذه الوجبات، فالإفطار قد يمتد زمنه من بعد صلاة الصبح إلى الظهر، وكبار السن هم من يحرصون على الإفطار مبكراً، أما النساء والشباب فقد يؤخرون أوقات إفطارهم بسبب تأخرهم في النوم، وأحياناً لا يفطرون ويكتفون بتناول وجبة الغداء من بعد الظهر إلى قبل العصر، والعشاء غالباً يتأخر إلى بعد العشاء، ويمتد وقته إلى منتصف الليل، وليس هناك وجه مقارنة بين حياة الناس قديماً وحديثاً من حيث أوقات الوجبات وما يصاحبها من عادات، وأصنافها، وطرق تقديمها^(١).

وعادات الناس اليوم في نظام حياتهم الغذائية يسودها الكثير من الفوضى والاضطراب في أوقات تناولها، وكمياتها، والإسراف أحياناً في مقاديرها، وفي طرق إعدادها، وأعداد من يتناولها في الأسرة الواحدة، أو حتى في الأمكنة الخارجية مثل البوفيهات، والمطاعم والمطابخ، وأماكن الاستراحات، وصلات الاحتفالات والتجمعات الاجتماعية، وهناك الكثير من التغيرات الاجتماعية الدخيلة التي يعيشها الناس في وقتنا الحاضر أثناء ممارسة حياتهم الغذائية داخل البيوت وخارجها، وليس ذلك مقصوراً على حياة سكان المدينة، بل امتد ذلك إلى كل شرائح المجتمع في القرى، والأرياف وحتى البوادي^(٢).

(و) أسماء الأشربة والأطعمة القديمة والحديثة وأدواتها متنوعة في المعاني، والأشكال، ومواد الصنع وأماكنها، وطرق استخدامها، ولها تراث لغوي كبير، يستحق أن يصدر عنها معجم في اللغة يشرح أسماءها، وكل ما يتعلق بها من منظور اصطلاحي لغوي، ومثل هذا الموضوع البحثي من اختصاص المؤرخين واللغويين، وعلى جامعة الملك خالد وقسمي التاريخ واللغة العربية وآدابها في كلية العلوم الانسانية مسؤولية دراسة مثل هذا المجال المعرفي الذي يعكس صورة من حياة أهل البلاد الحضارية في الماضي ووقتنا الحاضر^(٣).

(١) جيداً أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطعام والشراب في الماضي والحاضر مع إجراء دراسة مقارنة في كل ما يتعلق بهذا الجانب الحضاري، وما جرى على حياة الناس اليوم في أنواع أطعمتهم، وأوقاتها، وطرق إعدادها وتقديمها.

(٢) هذا ما عرفته ورصدت شيئاً من هذه التحولات في بعض دراساتي السابقة المطبوعة والمنشورة، وما زال هناك الكثير من تلك التبدلات الاجتماعية، ونشاهدها في حياتنا اليومية في عموم بلاد السراة، وتهامة، وفي كل مدن وحواضر وقرى ونواحي المملكة العربية السعودية، وهذا التاريخ الاجتماعي الحديث والمعاصر يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

(٣) من حظوظ بلاد السراة وتهامة أنه أصبح فيها خلال العشرين سنة الماضية عدد من الجامعات العلمية التي تشتمل على العديد من الكليات، والأقسام، والمراكز البحثية. والواجب على هذه المؤسسات أن تعكف على دراسة هذه البلاد معرفياً وعلمياً وتاريخياً، ولغوياً وحضارياً. وهي أوطان بكر في مخزونها الحضاري، وتحتاج إلى من يخدمها في ميادين البحث والتوثيق.

٦- أعراف، وعادات، وتقاليد؛

هذا العنصر كبير في ميدانه، ولن أخوض في الأعراف والعادات القديمة، فذلك موضوع ذكّرتّه في بعض بحوثي التي صدرت خلال الثلاثين عاما الماضية، وما زال مجالا كبيرا يستحق أن يدرس في كتب ودراسات عديدة^(١)، أما تقاليد وعادات الناس في سروات وتهامة منطقة عسير اليوم فهي مجال واسع وجيد لمن يرغب دراستها في بحوث علمية عميقة وموثقة، ولا يستطيع من يفعل ذلك أن يقصر نفسه على أعراف الناس وتقاليدهم المحلية، وإنما عليه أن يلم بكل التغيرات الاجتماعية الوافدة من خارج حدود البلاد العسيرة، أو من خارج المملكة العربية السعودية بشكل عام، وذلك لأسباب عديدة أسردها في النقاط الآتية:

(أ) المجتمع العسيري التهامي والسروي أصبح بلدة واحدة، بل صار جزءاً من عالم المملكة العربية السعودية، والعالم بشكل عام، وذلك لسهولة وتقارب المواصلات والاتصالات المنطوقة والمرئية والمكتوبة، وباستطاعة الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والبعيد والقريب، العربي والأجنبي أن يصل إلى أي مكان يرغبه، أو يسمع ويشاهد ما يريده في أي جزء من أجزاء الكرة الأرضية، وهو بهذه الوسائل يرى ويعرف وربما يقلد أي عادة أو تقليد أو عرف يريد.

(ب) من ينظر إلى مجتمعات محافظات وحواضر أحد ريفية، وخميس مشيط، وأبها، ورجال المع، ومحایل عسير، والبرك يجدها خليطاً من السكان الأصليين المحليين، ومن الأجناس العربية وغير العربية الوافدة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وجميعهم لهم تقاليد وأعراف وعادات في حياتهم الاجتماعية بجميع أصنافها، وفي أحوالهم الاقتصادية، والفكرية والثقافية والتعليمية، وفي ظروفهم الصحية والرياضية والسياحية، وفي اتصالاتهم وصلاتهم الداخلية والخارجية، وجميع هذه الأنماط الحضارية صارت خليطاً اجتماعياً متنوعاً يؤثر ويتداخل بعضه في بعض، ولم تعد هذه البلاد مغلقة على نفسها جغرافياً وحضارياً، كما كانت في السابق، وإنما صارت جزئية صغيرة ضمن شريحة العالم الاجتماعي والحضاري^(٢).

(١) من يدرس هذا الموضوع في القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة يجد صعوبة كبيرة، لأن المصادر في هذا الميدان نادرة جداً، أما في القرون الحديثة من القرن (١٠-١٦هـ/٢٠م) فالأمر أسهل مما سبق، لأن هناك الكثير من المصادر والمراجع والوثائق والمخطوطات التي حفظت لنا جزئيات وتفصيلات عن أعراف الناس وتقاليدهم في عموم بلاد تهامة والسراة، نأمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا من يدرس هذا الموضوع المهم الجدير بالبحث والتوثيق.

(٢) تحولت في هذه الأوطان العسيرة السروية والتهامية خلال الأشهر الأولى من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وشاهدت الحراك الاجتماعي الحضاري في شتى الجوانب، ثم عادت بي الذاكرة إلى حياة هذه المجتمعات في العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فرأيت الفرق الشاسع والاختلاف الكثير في عادات الناس، وتقاليدهم، وأعرافهم وما جرى عليها من تحولات وتبدلات بسبب التطور المالي والاقتصادي الجيد الذي تعيشه البلاد منذ ثلاثين عاماً، وأيضاً تقارب العالم مع بعضه إعلامياً وثقافياً واجتماعياً عن طريق وسائل المواصلات والتواصل التقني.

(ج) لووققت مع كل عرف، أو عادة، أو تقليد حديث في حياة الفرد، الذكر والأنثى، أو الأسرة (الأسر) الصغيرة والكبيرة، أو البادية، والقرية، والمدينة، والحاضرة الكبيرة، أو حياة الناس الحضارية (العمران، والطعام والشراب، واللباس والزينة، والراعي، والزراعة، والتجارة، وممارسة العديد من المهن والحرف الاقتصادية، وعادات: الزواج، والأعياد، والمآتم، والتكافل، والتعاون، وزيارة الأقارب أو المرضى، واستقبال الضيوف أو الأصدقاء، والعلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، وعلاقة الرجل بالمرأة، أو الزوج والزوجة، وعلاقة السعودي بغير السعودي، ذكراً أو أنثى، وأثر وتأثير العناصر الوافدة على المجتمع المحلي، والصلات بين الأفكار والثقافات في المدينة أو المجتمع الواحد، وعلاقة مؤسسات الدول الرسمية والأهلية مع جميع عناصر المجتمع)، وغيرها من المحاور الاجتماعية والحضارية التي يصعب حصرها، كل هذه الجوانب مجالات واسعة وكثيرة والواجب أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية، أمل أن تتال بعض الدعم والرعاية والتشجيع في كليات ومراكز وأقسام جامعات الجنوب السعودي، ودراسة مثل هذه الموضوعات وتوثيقها لن يكون صعباً؛ لحدثة عصرها، وتوفر مادتها العلمية المشاهدة على أرض الواقع.

٧- الألعاب الرياضية والفنون الشعبية :

الألعاب الرياضية ووسائل التسلية القديمة صارت غير ممارسة، ولا يعرفها جيل اليوم^(١)، وحل محلها ألعاب حديثة، مثل: ألعاب القوى، ولعب كرة القدم، والطائرة، واليد^(٢). وجميع شرائح المجتمع قديماً تمارس رياضة المشي بسبب ضعف حياتهم الاقتصادية، فتراهم دائماً في عمل وحركة دائمة بحثاً عن أقواتهم، مع اختلاف الطرق والوسائل. ونشاهد اليوم اهتمام البلديات في المحافظات والمدن برياضة المشي، فسعت إلى تخصيص أماكن محددة لهذه الرياضة. وتلك المواقع غالباً تكون في الأحياء، وقرى

(١) عندما كانت حياة الناس قديماً محدودة في إمكانياتها وظروفها الاقتصادية، كانوا نساء ورجالاً، صغاراً وكباراً يمارسون بعض وسائل التسلية والألعاب الرياضية داخل المنازل وخارجها وأغلبها بدائية، لكنها تقوم على استخدام العضلات، مثل: السباق، والقفز، والسباحة في الآبار والعيون وغيرها، وألعاب أخرى يحتاج من يلعبها إلى استخدام عقله وتفكيره أكثر من عضلاته وحركات جسمه. انظر عدداً من الدراسات في عدد من بحوثي وكتبي التي صدرت خلال العقود الثلاثة الماضية، وجميعها مطبوعة ورقياً، وتوجد أيضاً رقمياً على موقعي الإلكتروني (prof-ghithan.com).

(٢) عرفت بلاد عسير (سراة وتهامة) كرة القماش ثم البلاستيك أو الجلد منذ ثمانينيات القرن (١٤/٢٠م)، ثم بدأت تدرج حصص رياضية مستقلة في مدارس البنين، وأنشئت نواد رياضية في أبها، وخميس مشيط، ومحال عسير تهتم برياضة الشباب ومعظم ألعابها (كرة القدم، وأسله، والطائرة، واليد) ولا تخلو هذه النوادي من نشاطات ثقافية واجتماعية أخرى، ونوادي عسير الرياضية، مثل: نادي أبها في مدينة أبها، ونادي ضمك في مدينة خميس مشيط، ونادي الشهيد في محال، ونادي جرش في أحد ريفية، ونادي ألع الرياضي، وغيرها في سروات عسير وتهامتها موضوعات صالحة لإجراء بعض الدراسات التاريخية الحضارية عنها مع التركيز على إنجازات هذه النوادي وأثرها الإيجابي في خدمة مجتمعاتها.

من بعض الحداثق والمنتزهات داخل المدن وفي أطرافها^(١).

دخل على المجتمعات العسيرية الحديثة الكثير من الرياضات الدخيلة، ومعظمها تقوم على أجهزة تقنية حديثة مثل: الجوالات، والآياد، والكمبيوتر وغيرها، وهذه الأجهزة يُحْمَلُ عليها الكثير من الألعاب الفكرية، والثقافية والمعرفية المستوردة من ثقافات ومجتمعات غربية وشرقية وأجنبية، وجميعها تشتمل على حركات، وثقافات ومفردات، وأنشطة متعددة، ومختلفة، وغالبا يكون لها آثار سلبية على بناء شخصية الفرد والأسرة والمجتمع، ولها الكثير من الآثار السلبية الخطيرة على صحة الانسان^(٢).

أما الفنون الشعبية القديمة المحلية فهي تعكس صفحات من ثقافة وترفيه ومرح المجتمع العسيري التهامي والسروي. ومن أكثرها شيوعاً: الرقصات (الألعاب) الرجالية والنسائية، كالعرضة، والخطوة، والدمة، والمدقال، والريخة، والزامل، واللعب وغيرها^(٣). وتمارس كل هذه الفنون في المناسبات الاجتماعية المختلفة كالأعياد، واستقبال الضيوف، وحفلات الزواج، والختان، وأحيانا استقبال المسافرين أو توديعهم، وأثناء ذهاب الرجال في بعض الحروب التي عرفتها البلاد خلال القرون الماضية، وعند رجوعهم وتحقيقهم بعض الانتصارات في غزواتهم وحروبهم العسكرية^(٤).

ويتزامن مع ممارسة الكثير من الفنون الشعبية تراث ثقافي ولغوي يلقبه شعراء وشاعرات على اللاعبين الذين يؤدون هذه الفنون، واطلعت على تراث بعض أولئك الشعراء والشاعرات خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ومعظمه مليء بالمحسنات اللغوية

(١) من يتجول اليوم عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) في مدن عسير الرئيسية، يشاهد الكثير من هذه المواقع الخاصة برياضة المشي، وقد شاهدت الوضع نفسه في مدن الطائف، وجازان، وجدة، والرياض، والدمام، وسمعت أنها موجودة في معظم محافظات ومدن المملكة، وهذه ظاهرة ثقافية جيدة في وعي الأفراد والمجتمعات السعودية، وزرت بعض أماكن المشي في أبها ومحاليل عسير خلال شهري صفر وجمادى الأولى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) فرأيت الكثير من الرجال والنساء (الصغار والكبار) يمارسون هذه الرياضة المفيدة والنافعة جسدياً وفكرياً ونفسياً.

(٢) غزت هذه الأجهزة الإلكترونية جميع مجتمعات العالم خلال العشرين عاماً الماضية، ولا تخلو من الفوائد العلمية والمعرفية لمن يسخرها في هذا الاتجاه، لكنها أيضاً مليئة بالآثار السلبية لما يوجد فيها من برامج غير هادفة، تؤذي الصحة والفكر أكثر مما تفيده، ومعظم الذين يسخرونها في هذا السبيل من جيل صغار السن أو الشباب من الذكور والإناث، وظهر الكثير منهم من يتردد على العيادات الطبية والمصحات النفسية لاستخدامها بكثرة أو الإدمان على استعمالها في ألعاب رياضية ووسائل تسلية متعددة.

(٣) كل هذه الألعاب الشعبية وغيرها مارسها العسيريون (سرويون وتهاميون) وقد ذكرت تفاصيل عنها في بعض مؤلفاتي، مثل: (١) عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ). (٢) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). (٣) موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعان الأولى والثانية) (٢١) مجلداً.

(٤) وجدت في عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة وبعض الوثائق المنشورة وغير المنشورة إشارات كثيرة إلى بعض هذه الفنون، كيف مارسها القبائل والعشائر العسيرية من القرن (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) كما عاصرت وشاهدت بعضاً من هذه الرقصات في عدد من بلدان السراة وتهمامة منذ عام (١٢٩٠-١٤١٥هـ/١٩٧٠-١٩٩٥م).

والبلاغية، مع أنه يقال باللهجات العامية، ولا يخلو أيضاً من الأخبار التاريخية والحضارية المحلية، وأحياناً تقال بعض القصائد والفقرات وفيها الكثير من الحكم، أو الأغاز، أو المعاني الغامضة التي لا يعرفها إلا من لديه الدراية الكافية بهذا النوع من الأدب الشعبي^(١).

ما زالت بعض الفنون الشعبية السابقة تمارس في مناسبات المجتمعات العسيرية، لكنها تراجعت كثيرة في جودة أدائها، وفي تراثها الثقافي والحضاري^(٢)، ودخل إلى البلاد فنون شعبية دخيلة مستوردة أحياناً من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ويمارس معها بعض الثقافات والأغاني والأهازيج أو الأناشيد الدخيلة أيضاً، وبعضها لا تخلو من الرقي في الفكر والثقافة والاداء، لكن أكثرها يشوبه سلبيات في القول والممارسة، واصبح يمارس في البلاد العسيرية طرب وأغان ورقصات يمارسها الذكور والإناث^(٣).

٨- الصلات بين شرائح المجتمع (داخلياً وخارجياً) :

ان محافظات أحد ريفية، وخميس مشيط، ومدينة أبها، ورجال ألمع، ومحال عسير، والبرك تحتل موقعا جغرافيا استراتيجيا، فهي تربط السروات الممتدة من نجران وظهران الجنوب إلى حدود المنطقة الوسطى في الشرق، وبلاد الباحة ومنطقة مكة المكرمة في الشمال، كما تتصل بساحل البحر الأحمر الشرقي، ومناطق سعودية تهاميه أخرى في الجهتين الجنوبية والشمالية، وهذا الموقع الجغرافي جعلها ذات صلات حضارية جيدة مع بعضها البعض، ومع البلدان المجاورة لها من كل الجهات. ومن خلال سيري في أرجائها في النصف الثاني من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) خرجت ببعض الدروس والعبر التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة، أذكر شيئا منها في الفقرات الآتية:

(أ) درست تاريخ هذه البلاد وحضارتها منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكرة، والوسيط، والحديثة، والمعاصرة، وتأكد لي قدم الاستيطان البشري في هذه البلاد التهامية والسروية ومر عليها الكثير من الأقوام والحضارات التي شكلت شخصيتها التراثية والتاريخية الحضارية، كما أنها مؤهلة بكل مقومات

(١) عرفت جميع بلاد السراة وتهامة أصنافاً كثيرة من الفنون الشعبية، وقيل فيها الكثير من الأدب والثقافة الشعبية، ومعظم هذا التراث لم يدون ويحفظ، وإن بقي منه بعض الشذرات أو سجل بعضه فذلك نزر يسير مما مارسه وعرفه الإنسان التهامي والسروي على مر التاريخ، وربما وجد بعض التراث قريب العهد من القرن (١٤هـ/٢٠م). حبذا أن نرى باحثين جادين يقومون على جمعه وتوثيقه ونشره، فهو مصدر مهم من تاريخ وحضارة هذه البلاد العربية.

(٢) من معاصرتي للفن الشعبي في عموم السروات وتهامة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) لم نعد نرى ذلك الفن الأصيل والهادف الذي كان يمارسه الأوتل، ومن يمارسه اليوم فلا يجيدون أداءه، ولا يتقنون حركاته، وطرق ممارسته قولاً وعملاً.

(٣) هذه ضريبة العولة وانفتاح المجتمعات على بعضها، وقد شاهدت في العشر سنوات الماضية حفلات غنائية يقدمها نساء (مغنيات) أو رجال، وزادت وتيرة هذه النشاطات منذ عام (١٤٢٧-١٤٤٢هـ/٢٠١٧-٢٠٢٠م).

الحياة الانسانية الكريمة، فهي متنوعة التضاريس، والمناخ، والموارد الطبيعية، وترتبط بين مناطق جغرافية مهمة داخل الجزيرة العربية، وأجزم بأنها كانت على صلات اجتماعية واقتصادية وسياسية بمن حولها قبل الإسلام وبعده^(١).

(ب) جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي، وامتد أثره وخيره إلى عموم السروات وتهامة، فدخل أهلها في الإسلام، ثم خرج بعضهم إلى عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ومنهم من ذهب إلى جميع الأمصار الإسلامية في العالم فساهموا في بناء الحضارة العربية والإسلامية، وبقيت بلادهم الأصلية تنعم بالإسلام على مر التاريخ، لكن السياسة جارت عليهم عندما نقلت الخلافة الإسلامية إلى الشام، ثم العراق، ثم مصر، ثم القسطنطينية في عصر الدولة العثمانية، ومن ثم غلب على سكان السراة وتهامة الانطواء على أنفسهم، وربما خوفهم وبأسهم، ثم دخولهم في حروب وصراعات قبلية جعلتهم يحرسون ويبالغون في الانزواء، وعدم الاتصال ببلدان العالم من حولهم^(٢).

(ج) جاء العصر الحديث بعد القرن (١٠هـ/١٦م) وبقيت بلاد عسير تعيش الحياة نفسها التي عاشها الآباء والأجداد في العصر الإسلامي الوسيط، وفي بدايات القرن (١٢هـ/١٩م) وصلت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية إلى عسير، ثم أنضوت عموم البلاد تحت لواء الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م)، وظهر في عسير إمارتي المتاحمة (١٢١٥-١٢٣٤هـ/١٨٠٠-١٨١٨م)، وآل عائض (١٢٣٨-١٢٨٨هـ/١٨٢٣-١٨٧٢م)، ثم حكمت البلاد من قبل المتصرفة العثمانية (١٢٨٨-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م)، وفي عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) دخلت عسير تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وما زالت حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) منطقة رئيسية في حكومة المملكة العربية السعودية^(٣).

(د) تحولت طبيعة الأرض وحياة الإنسان في أراضي عسير التهامية والسروية في عصر الدولة السعودية الحديثة، وأصبحت ضمن منظومة دولة حديثة تحكمها المؤسسات

(١) للأسف عندما ندرس تاريخ هذه الأوطان قبل الإسلام وبعده، لا نجد المصادر العربية أو الأجنبية تفيدنا كثيراً عن تاريخها وحضارتها، وقد أهملت تماماً في توثيق موروثة الحضاري المبكر، وعندما نقف على جبالها، وأوديتها، وقرائها ومدنها القديمة، ونرى آبارها وكهوفها، ومقابرها، وأحمتها، ونقوشها، ورسوماتها الصخرية، وأماكن التدين في بعض أجزائها، وطرقها، وأسواقها القديمة، فإننا نلمس عراقتها الانسانية والحضارية، والأمل معقود على جامعاتنا المحلية فتتشي كليات وأقسام علمية يكون هدفها البحث عن تاريخ وحضارة هذه البلاد منذ العصور الحجرية إلى بداية العصر الحديث (نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي).

(٢) ساهم سكان منطقة عسير ومن جاورهم من بلدان تهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية.

(٣) درس تاريخ بلاد عسير (تهامة وسراة) خلال العصر الحديث في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية باللغة العربية، ولغات أخرى أجنبية، وما زال هناك وثائق غير منشورة عن هذه البلاد منذ بداية القرن (١٢هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر وهي جديرة بالجمع والدراسة.

الإدارية، وعملت الدولة ما في وسعها لخروج إنسان هذه البلاد من بيئته الصغيرة المحدودة إلى عالم أرحب وأوسع، وركزت على عدد من الإصلاحات الحديثة مثل:

١. نشر الأمن والأخوة والمحبة بين أفراد المجتمع، والاجتهاد في نشر العلم والثقافة والمعرفة بين الناس، ومحاربة الجهل والفضى التي كانت ضاربة أطنابها في كل مكان.
٢. حرصت الدولة على تنمية وتطوير الأرض والانسان، فأسست الإدارات الرسمية السياسية والأمنية، والتربوية والتعليمية والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية، والصحية، والتنمية التطويرية وغيرها. وجميعها عملت وما زالت تعمل على تطوير الأرض والارتقاء بالإنسان معنوياً ومادياً^(١).

مع مرور عقود من النماء والحضارة في عسير خاصة والمملكة العربية السعودية عامة، تلاشت حياة الفوضى والحروب القبلية، وصار الفرد المواطن (ذكراً أو أنثى) في أي مكان يعرف باسم (المواطنة أو المواطن السعودي)، واتصل سكان هذه البلاد ببعضهم في شتى الأماكن والمجالات (السياسية، والإدارية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والفكرية والمعرفية والتعليمية) وأصبحوا شعباً واحداً من أقصى الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب. وصارت مدن ومحافظات عسير في تهامة والسراة جزءاً من هذه الدولة العصرية الحديثة (المملكة العربية السعودية)^(٢).

رابعاً: الحياة الإدارية:

١- مؤسسات الدولة الرسمية:

أبها المركز الحضاري الإداري السياسي لعموم منطقة عسير وبعض المناطق الأخرى المجاورة منذ القرن (١٣هـ/١٩م)، وتباينت حدود ونفوذ أبها الإدارية، كونها عاصمة منطقة عسير، خلال القرن (١٣هـ/١٩م) وبداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، والإمارة أو المتصرفية في عسير، ومركزها مدينة أبها، كانت صاحبة السلطة السياسية والإدارية على معظم بلاد عسير (سراة وتهامة)، وأحياناً امتد نفوذها شمالاً إلى الباحة والقنفذة، وجنوباً إلى جازان وظهران الجنوب وما حولها^(٣).

(١) تاريخ التطور والتنمية التي تمر به بلدان عسير، وعموم السراوات وتهامة منذ عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) مجال كبير يستحق أن يدرس في كتب وبحوث علمية توثيقية وتحليلية، وإذا كان قد خرج بعض الدراسات في هذا الميدان، لكنه ما زال يحتاج إلى جهود أفضل وأعمق.

(٢) ان الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) كان خيراً ورحمة وبركة على جميع بلدان المملكة العربية السعودية، فقد حول انسانها من كائن تسوده الفوضى والصراع والشقاق، ومن مجتمع منطو متقوق على نفسه إلى كيان كبير شعاره لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما بذل ما في وسعه إلى تحويل هذه البلاد الواسعة إلى دولة متحضرة تحكم بالقرآن الكريم وسنة الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام). فرحمك الله يا عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وبارك الله في عقبك وأعانهم على تحكيم شرع الله.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ منطقة عسير السياسي والإداري منذ بدايات القرن (١٣هـ/٢٠م) إلى

وفي عهد الدولة السعودية الحديثة أنشئت المؤسسات الإدارية الحكومية في أبها (الإمارة، والمحكمة، والشرطة، والسجون، والمدرسة الابتدائية، ومعتمدية المعارف، والبلدية، والمدرسة أو الإدارة الحربية (العسكرية)، والمالية وغيرها من المؤسسات الرسمية ابتداءً من عام (١٣٤٠هـ/ م)، ثم تزايدت وتطورت هذه الإدارات وغيرها^(١). ومما اطلعت عليه من وثائق القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وشاهدت وعرفت من عام (١٣٩٠-١٤٤٢هـ/ ١٩٧٠-٢٠٢٠م) اتضح لي أمور عديدة أوجزها في النقاط الآتية:

(أ) أن أبها كانت وما زالت القاعدة الرئيسية لكل الإدارات الحكومية، وعلى رأسها الإمارة، ومعظم الإدارات الرسمية لها فروع ومراكز في مدن عسير الكبيرة السروية التهامية، ثم إن جميع مؤسسات الدولة الحكومية صارت أكثر تنظيماً وتطوراً، وتخضع لأنظمة ولوائح إدارية من إعداد وزارات ومؤسسات الدولة العليا.

(ب) نشطت وتطورت الحياة الإدارية والتنمية في عسير منذ عام (١٣٩٠-١٤٤٢هـ/ ١٩٧٠-٢٠٢٠م) حتى أصبحنا نرى كل المحافظات والمراكز والمدن تشتمل على كل القطاعات والإدارات الحكومية (الإدارية، والأمنية، والمالية، والتعليمية العامة والعالية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية والثقافية والتوعوية، والصحية والخدماتية، والتنمية التطويرية)، وفي محيط محافظتي أحد رفيدة وخميس مشيط قطاعات عسكرية دفاعية مثل: المدينة العسكرية، وما تحتوي عليه من إدارات وقطاعات عسكرية متنوعة، والمطار العسكري، وقيادة الدفاع الجوي وغيرها^(٢).

(ج) تجولت في مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة، والبرك، ومحاليل عسير، ورجال ألمع، وحواضر أخرى في منطقة عسير خلال الشهور الأربعة الأولى من عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)، فرأيت كل ناحية أو مدينة تحتضن معظم المؤسسات الإدارية الحكومية الحديثة، وأغلبها تعمل في أبنية حكومية، وأخرى مستأجرة، والعاملون فيها

ثلاثينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) انظر عدداً من الكتب، والبحوث، والرسائل العلمية في بعض المكتبات العامة والجامعية في المملكة العربية السعودية وخارجها، وتاريخ الإدارة في هذه البلاد ما زال موضوعاً يستحق أن يدرس في بعض البحوث العلمية النوعية.

(١) تاريخ الإدارة في عسير أو مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ عام (١٣٤٠-١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م) موضوع جيد وكبير يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية، أمل من أقسام التاريخ والإدارة في جامعات الملك خالد، وبيشة، وجازان، والباحة، ونجران أن تدعم وتشجع مثل هذه الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث والدراسة.

(٢) أجملت في هذه السطور خلاصة التاريخ الإداري الحديث والمعاصر في منطقة عسير، وأن حاضرة أبها (مدينة أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة) تعد المركز الرئيسي لكل الإدارات الحكومية الرئيسية في البلاد العسيرية التهامية والسروية، ولها فروع متناثرة في مدن ومحافظات منطقة عسير من ظهران الجنوب إلى محافظتي بيشة وبلقرن في السراة، ومن رجال ألمع والبرك إلى محافظتي بارق والمجاردة في الأجزاء التهامية، وكل هذه الإدارات في المركز الرئيسي وفي المحافظات والأطراف العسيرية تستحق أن تدرس في عدد من البحوث والكتب والرسائل العلمية.

من المواطنين السعوديين الذكور والإناث، والكثافة البشرية والمقرات المعمارية للدوائر الحكومية في محافظات السراة أكثر وأفضل من الأجزاء التهامية، ومدنيتي أبها وخميس مشيط وما حولهما هما الأحسن والأفضل في ما شاهده ووقفت عليه^(١).

٢- المؤسسات الأهلية:

بحثت في عدد من المصادر والوثائق عن الإدارات والمؤسسات الأهلية في عموم عسير منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) فوجدت بعض الجهود الفردية أو الأسرية، أو العشائرية أو القبلية كانت تعمل على بعض الأعمال المجتمعية الخيرية مثل: إعانة المحتاج والفقراء، والوقوف إلى جانب الضعفاء، أو من يحل بهم كرب ومصائب في مزارعهم، وأموالهم، وقراهم، وأنفسهم، وكان التعاون والتكافل سائداً بشكل واسع وكبير بين أفراد القرية الواحدة، أو الحي، أو القبيلة والعشيرة. وفقدان الأمن وضعف السلطة السياسية والإدارية في القرون الماضية المتأخرة حتى ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) كان لها سلبات وأضرار كثيرة على بناء مجتمعات كبيرة يسودها الرخاء والأمن والأمان^(٢).

وأثناء التطور الذي تعيشه المملكة العربية السعودية من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) انشئت مؤسسة حكومية تهتم بحياة الناس العامة، وبخاصة شرائح المجتمع الفقيرة والمحتاجة أو المنكوبة، ومن ثم صار هناك جمعيات ومراكز وفروع خيرية تعمل في هذا الاتجاه^(٣). كما أن هناك إدارات أو مؤسسات أهلية مخصصة لخدمة بعض شرائح المجتمع اقتصادياً، أو اجتماعياً، أو ثقافياً وتربوياً وتعليمياً، أو صحياً، أو دينياً وتوعوياً ومعرفياً^(٤).

(١) زرت عدداً من المؤسسات الإدارية في محافظات عسير التهامية والسروية، ووجدت أن إدارة البلديات تتمتع بمقرات معمارية فاخرة وواسعة وجميلة، وإمارة منطقة عسير في أبها هي الأخرى تعمل في مبنى كبير وواسع وحديث وسط المدينة، وبعض القطاعات العسكرية في محافظة خميس مشيط تمتلك أمكنة جيدة وحديثة، والإدارات والمراكز والوحدات والفروع الإدارية الأخرى في عموم المنطقة العسيرية تتفاوت في أعداد موظفيها، ومقراتها المعمارية، وجامعة الملك خالد والمدارس الحكومية النظامية تأتي في المقدمة من حيث كثرة المقرات وأعداد الموظفين.

(٢) دراسة حياة المجتمعات العسيرية السروية والتهامية في القرون الماضية المتأخرة، وما عرفته من أعمال أهلية خيرية في مساعدة الأفراد والجماعات موضوع لم يدرس، وجدير أن يكون عنواناً لبعض البحوث والكتب العلمية. أمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً جادا يدرس هذا الموضوع دراسة علمية تعتمد على المصادر والوثائق المكتوبة والمتناثرة عند كثير من الأسر والبيوت في منطقة عسير سراة وتهامة.

(٣) زرت عدداً من الإدارات في محافظان أحد ريفية، وخميس مشيط ومحاليل عسير خلال عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) مثل: بعض المدارس والدور الاجتماعية، والضمان الاجتماعي، والاقواق ومكاتب دعوة الجاليات، وبعض الجمعيات الخيرية والتعاونية، ومراكز التطوع، والغرفة التجارية الصناعية في أبها وبعض فروعها في محافظات عسير وغيرها. وكل هذه المؤسسات تتبع وزارات وإدارات حكومية، إلا أن معظم جهودها وأعمالها تصب في خدمة شرائح كثيرة من الناس. وهي مؤسسات تحتاج إلى من يدرس تاريخها، ويوثقها في العصر الحديث والمعاصر.

(٤) وقفت عند بعض من هذه المؤسسات في مدنيتي أبها وخميس مشيط، وزرت بعض فروعها في محافظات عسير التهامية والسروية، وجميعها تعمل في مجالات مختلفة لخدمة الأفراد والجماعات في مقراتهم، وفي

ونلاحظ اليوم عشرات المؤسسات الأهلية في أغلب محافظات منطقة عسير، وأهداف أكثرها تجارية ربحية، ففي مجال التعليم نجد عدداً من المدارس الأهلية للتعليم العام، وكليتي ابن رشد والغدي في أبها لتدريس بعض التخصصات الجامعية، وفي مجال الصحة الكثير من المستوصفات الطبية متعددة التخصصات والأغراض، وبعض المستشفيات الكبيرة ومعظمها في مدينتي أبها وخميس مشيط، وهناك شركات ومؤسسات تجارية أو زراعية، أو صناعية وحرفية صغيرة وكبيرة، تتفاوت في أحجامها، وعدد العاملين فيها، لكنها جزء من المجتمع الأهلي، ومعظم العاملين في هذه القطاعات غير سعوديين، وجنسياتهم متنوعة من البلاد العربية، ومن بلدان أخرى أجنبية شرقية وغربية، وهذه الميادين تمثل نسبة عالية من الحراك الاقتصادي والاجتماعي والحضاري الذي تعيشه البلاد والعاملون فيها يجنون أرباحاً مالية كبيرة، ومعظمها يُصدر إلى خارج البلاد^(١).

٣- دور القبيلة اجتماعياً وحضارياً :

كانت القبيلة ممثلة في أفرادها وشيخهم فهم أساس المجتمع في عموم السروات وتهامة، بل في عموم شبه الجزيرة العربية. وكتب الأنساب، والتراث، والتاريخ، والأدب، والمعاجم الجغرافية فصلت الحديث عن القبائل والقبيلة العربية. ومن يطالع المصادر القديمة والوثائق التاريخية الحديثة يجدها مليئة بالتفصيلات عن حياة القبيلة ومدى نفوذها الاجتماعي والسياسي والإداري منذ عصور ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحديث^(٢).

ادرك الملك عبد العزيز بن سعود وضع القبيلة وأهميتها أثناء توحيد البلاد، ومن ضمن سياسته العامة أن تقوم الدولة على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، وهذا ما قامت عليه دولة الإسلام في عصر الرسول الكريم، ثم الاتصال بأعيان القبائل وشيوخها وحثهم على الانضواء تحت دولته مع تحكيم شرع الله، وقد واجه الكثير من العقبات مع عشائر وقبائل عديدة رفضت السمع والطاعة لما حثهم عليه، ودعاهم إليه، واستمر عقود عديدة يجوب شبه الجزيرة العربية، حتى تمكن من توحيد البلاد تحت راية

بداية هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) زرت أيضاً بعض الإدارات التنويرية والدعوية في خميس مشيط وأبها، مثل مكتب الإغاثة الإسلامية، ومكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في العالم، ووجدت لهذه المكاتب فروعاً صغيرة من إدارة عامة في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، ولها فروع داخلية وخارجية لخدمة المسلمين في العالم، وبعد أحداث سبتمبر في أمريكا وما جرى بعدها من تطورات عالمية تم التضييق على هذه الإدارات ثم أوقف العمل فيها.

(١) لم أشرح كل المؤسسات الأهلية الموجودة في محافظات عسير التهامية والسروية، لكنني أشرت إلى كثير منها، وهذه الموضوعات مجال كبير للبحث والدراسة، والواجب على الجامعات السعودية المحلية أن تدعم كلياتها، وأساتذتها، وطلابها لدراسة مثل هذه الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالمجتمع، وإذا فعلت ذلك فإنها تقوم بشيء من واجباتها تجاه الأرض والناس في هذه البلاد الجنوبية السعودية.

(٢) تاريخ القبيلة العربية في شبه الجزيرة العربية عامة وفي بلاد السراة وتهامة خاصة موضوع متعدد الجوانب، يصلح أن يكون مجالاً لعشرات البحوث التاريخية الرصينة، وبخاصة إذا درست القبيلة منذ العصر الجاهلي وما جرى لها عبر أطوار التاريخ الإسلامي إلى الوقت الحاضر.

واحدة، وتحت حكومة حديثة عصرية هو حاكمها والمصدر الرئيسي في جميع شؤونها^(١).

لن أسهب الحديث عن قبائل جنوب المملكة العربية السعودية، أو منطقة عسير، وكيف دخلت واحدة تلو الأخرى تحت لواء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ولن أفصل الحديث عن أمراء منطقة عسير خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ولا عن الشيوخ وأعلام ووجهاء القبائل الذين كان لهم دور إيجابي أو سلبي أثناء التوحيد والبناء^(٢)، وإنما أشير إلى جوانب عرفتها وعاصرتها في وقتنا الحاضر، ومن أهمها:

١. عندما صارت البلاد تخضع لمؤسسات إدارية عصرية تحتكم إلى شرع الله، وإلى أنظمة وقوانين عامة وفرعية، فإن الفرد والجماعة، وجميع قطاعات الدولة، أصبحت تعرف حقوقها وواجباتها من خلال العمل الإداري والسياسي المؤسسي الذي تديره الدولة وتشرف عليه، وصارت القرية أو العشيرة، أو القبيلة الواحدة جزءاً من هذه المنظومة الكبيرة الممتدة في حكومة المملكة العربية السعودية، ولم تغفل الدولة عن أهمية القبيلة أو العشيرة في بلادها ومع أفراد قراها وأريافها وبواديها فجعلت لكل قبيلة أو عشيرة شيخاً، ولكل قرية نائباً، أو عريفة، وبينت صلاتهم ببعضهم في القبيلة الواحدة ومسؤولياتهم تجاه أفراد قبائلهم وقراهم^(٣).

٢. من يقارن حياة القبائل وقراها في السابق واللاحق يجد أنها كانت في السابق تفتقد إلى الوحدة، وكانت الحروب والصراعات والخلافات من أكثر مشاكلها، وعندما صارت تحكم من قبل الدولة الحديثة خفت تلك المشاكل، وقضي على أغلبها، وصارت الدولة ومؤسساتها الرسمية هي المسؤولة عن ضبط الأمن

(١) أشرت فقط إلى الإطار العام لبدایات تم تطور توحيد البلاد تحت حكومة المملكة العربية السعودية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وهذا الموضوع تم دراسته في دراسات وبحوث وكتب عديدة عربية وأجنبية، وما زال هناك الكثير من الوثائق المحلية والعالمية التي لم تدرس في هذا الجانب، وجديرة بالجمع والدراسة والتحليل، وقد نرى بعض طالباتنا وطلابنا في الجنوب السعودي يسعون إلى جمعها في عموم السروات وتهامة ثم دراستها دراسة علمية عميقة.

(٢) من خلال دراستي أحوال السروات وتهامة منذ ثلاثين عاماً، وسماعي أو جمعي الكثير من المصادر والوثائق عن هذه البلاد، وفتت على الكثير من التفاصيل عن تاريخ قبائل هذه البلاد، وشيوخها وأعلامها وبخاصة في القرون الثلاثة الماضية وما جرى من أحداث في هذه الأراضي، وأهلها وشيوخها كانوا عناصر رئيسية في تلك الأحداث. وكل هذه الاشارات والموضوعات ما زالت ميادين جديدة تستحق البحث والدراسة في بحوث وكتب عديدة.

(٣) هذا النظام كان معروفاً وسائداً منذ العصور الجاهلية، وعبر أطوار التاريخ الإسلام، ومن يدرس تاريخ دولة الرسول ﷺ ودولة الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية ومن جاء بعدها يجد أن شيوخ القبائل وعرائقها أو أمراءها كانوا هم المسئولين عن بلادهم وقبائلها، بل هم حلقة الوصل بين عشائرهم وأفرادها وبين الدولة أو الإمارة التي يعودون لها إدارياً وسياسياً.

وحفظ حقوق الناس في كل مكان، كما أنها قربت الوجهاء والأعيان المؤثرين في أقوامهم، ومنحت شيوخ القبائل ونواب أو عرائف القرى بعض المميزات المعنوية، والمادية^(١). وهم اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) يستلمون رواتب شهرية، كل حسب مكانته الاجتماعية والإدارية، ومنصبه القبلي الذي يشغله وأقرته الدولة^(٢).

٣. أشرت إلى هذا المحور الذي يذكر شيئاً من تاريخ القبيلة الاجتماعي والإداري، وأعلم أنه موضوع واسع، وعنه الكثير من المعلومات المكتوبة، والأخبار المنقولة والمروية. وللقبائل تأثير كبير في توطيد الصلات بين الحكومة ومؤسساتها الرسمية وبين أفراد القرية أو القبيلة الواحدة، ولهذه فالدولة أولت الأمر اهتماماً كبيراً، لتقوية روابط الوحدة والتآزر بين الحكومة وأفراد الشعب^(٣).

خامساً: حياة الناس الاقتصادية:

١- مقومات الاقتصاد:

ذهبت من مدينة أحد ريفية إلى البرك، وشاهدت العديد من المقومات الاقتصادية الداعمة لنهضة البلاد حضارياً، وأذكر بعضها في الفقرات التالية:

١. توفر المال في أيدي الناس جعلهم يعملون في قطاعات اقتصادية شتى (تجارية، وزراعية، وصناعية وحرفية، وسياحية وإدارية وتموية) ومما لاحظته من أنشطة في هذه الميادين يصعب حصرها لتنوعها، وتعدد العناصر البشرية التي تعمل فيها، وتنوع بيئتها وأهدافها.

٢. توفر البنية التحتية لكل الأنشطة الاقتصادية، فالواصلات البرية، والبحرية تربط بين أجزاء هذه المحافظات ومحافظات ومدن وبلدان أخرى داخل المملكة

(١) اطلعت على عشرات الوثائق خلال النصف الثاني من القرن (١٤/٢٠م) فكان شيوخ القبائل وعرائفها يحصلون على منح مادية من الدولة ومعظمها حبوب ومواش في العقود الأولى من تأسيس الدولة، وعندما توفر المال النقدي صارت تعطيهم إعطيات ورواتب معلومة. هذا الموضوع مجال جيد للبحث حيناً أن نرى باحثاً يدرسه في كتاب أو رسالة علمية.

(٢) صدر مؤخراً من وزارة الداخلية والإمارات رواتب محددة للمسؤولين في القبيلة أو القرية، وهي على النحو الآتي: (١) شيخ الشمل الذي يندرج تحت مسؤوليته قبائل عديدة راتب عشرة آلاف ريال. (٢) شيخ القبيلة الواحدة المكونة من عشائر صغيرة وقرى وراتبه (٧٠٠٠) ريال. (٣) نائب القرية (٤٠٠٠) ريال. وهناك منصب إداري يسمى صاحبة (العمدة)، وهو مساعد للشيوخ والنواب، فيصدق على بعض الشهادات والأوراق للقبيلة، أو القبائل التي ينتمي إليها، وتم توظيفه من الدولة لخدمتها، وهذا المنصب أصبح اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) قليلاً فليس لكل قبيلة أو مجموع قبائل عمدة، وكان في الماضي منتشرًا أكثر من وقتنا الحاضر ويوجد في المدن الكبيرة بنسبة أكبر، ويطلق على الواحد منهم (عمدة حارة كذا) أو (عمدة حي كذا). مثل هذا الموضوع جديد في بابه يستحق أن يوثق ويدرس في بحث علمي عميق.

(٣) مراكز البحوث العلمية، والأقسام، والكليات المعنية في الجامعات عليها مسؤولية كبيرة في خدمة هذا الموضوع معرفياً وتوعوياً وبحثياً، والحرص على دعم الدراسات التي تزيد من ترابط وتقارب جميع شرائح المجتمع، والعمل جميعاً على كل عمل صالح ومفيد للفرد والمجموعة.

العربية السعودية وخارجها، والدولة تسعى إلى تطوير الاقتصاد وتنميته، فتجلب رجال الأعمال والمستثمرين من الداخل والخارج، وأحياناً تدعم وتشجع إعطاء قروض ميسرة لتأسيس مشاريع اقتصادية مربحة، ومفيدة لتطوير المنطقة.

٢. تنوع التضاريس، ووفرة الموارد الطبيعية والبشرية التي تساعد على قيام اقتصادات نشطة وجيدة، والتجارة والصناعات من أهم الأعمال المنتشرة في كل مكان، وأيضاً الزراعة تمارس في أمكنة محدودة في السراة وتهامة، وإذا كان أصابها التراجع في العقود الماضية المتأخرة، فذلك ناتج عن وفرة الوظائف الحكومية والأهلية، وزيادة الأعمال التجارية والصناعية، وفي بلاد عسير (تهامة وسراة) أراض كثيرة صالحة للزراعة، وتحتاج إلى دعم أهلي وحكومي حتى تنشط الحياة الزراعية، وتعود إلى سابق عهدها في النصف الثاني من القرن (١٤/٢٠م)^(١).

٢- الصيد والرعي؛

لم يعد الصيد البري منتشرًا كما كان في السابق، لمنع الدولة الاضطهاد بطريقة عشوائية تحدث دماراً للحياة الفطرية، وأيضاً توفر المال والرخاء عند عامة الناس، فلم يعودوا بحاجة إلى ممارسة الصيد كما كان بعض الأوائل يمتنونونه لكسب أقاتهم^(٢). أما الصيد البحري فهو حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) نشط، ومن يزور مطاعم وأسواق خميس مشيط، وأبها، ورجال ألمع، ومحايل، والبرك فإنه يجد حركة جيدة لصيد الأسماك المتنوعة من شاطئ البرك وبعض سواحل البحر الأحمر، وتباع بأسعار عالية حسب أنواعها وأحجامها^(٣).

أما الرعي فكان في الماضي حتى بداية هذا القرن (١٥/٢٠م) مُمارساً بشكل كبير في جميع قرى وأرياف وبادي منطقة عسير (تهامة وسراة)، وأهل البلاد أنفسهم هم من يقومون بخدمة ورعي مواشيهم وحيواناتهم من الأغنام والماعز، والأبقار، والإبل. ثم تراجعت هذه المهنة حتى أصبحت تمارس في الحظائر والزرائب داخل المدن والأرياف أو قريبة منها، وصار الرعي البري في الجبال والأودية قليلاً، وأكثر من يمارس هذه الطريقة بعض الأفراد، أو الأسر، أو البوادي والقرى في محافظات خميس مشيط، ورجال ألمع، ومحايل، والبرك^(٤).

وزرت بعض الزرائب الخاصة في محافظة خميس مشيط، وأحد ريفية، ومحايل عسير، وأعدادها تتفاوت بين (٥٠-٣٠٠) رأس من الضأن والماعز، أما الإبل والأبقار،

(١) تاريخ الاقتصاد وبخاصة الزراعة في الماضي والحاضر موضوع جيد فتصدر دراسة مقارنة عن حياة الزراعة والمزارعين في الماضي، وما جرى على هذا الميدان من تراجع وتقهقر في وقتنا الحاضر.

(٢) أصدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية بعض الدراسات الحضارية التي تفصل بعض الشيء عن تاريخ الصيد في بلدان لسراة وتهامة، ومعظمها منشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢١) مجلداً. انظر أيضاً كتاب: عسير (١١٠٠-١٤٠٠) (طبعة عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

(٣) وقفت على بعض الأسواق أو المطاعم التي تباع كيلو السمك بأسعار متفاوتة تتراوح من (٣٠-١٥٠) ريالاً.

(٤) هذا ما سمعته وشاهدته عند زيارة هذه البلدان في النصف الأول من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

فهي قليلة، وغالباً تكون في خانة العشرات. وشاهدت أسواق الغنم في المحافظات نفسها، وتباين أعدادها من تاجر لآخر وتتنوع في أحجامها وأماكن جليها، فمنها المحلية المحلية من بعض الأماكن في تهامة والسراة، وبعضها من مدن الشمال في المملكة، أو من مدن أفريقية مثل: الصومال، وأريتريا، والحبشة. والقائمون على مهنة الرعي من دول عربية وآسيوية كالسودان، ومصر، واليمن، والهند، والباكستان وبنجلادش، وهناك سعوديون قلائل يباشرون مهنة الرعي، مع أن أغلب ملاك الزرائب من السعوديين، وقد يشترك البعض منهم مع بعض الوافدين الذين يتولون رعايتها والإشراف عليها^(١).

٣- الزراعة:

غلب على الزراعة في وقتنا الحاضر الهدوء والتوقف، فلم تعد مهنة أولية عند سكان البلاد، وتمارس اليوم فقط لزراعة بعض الفواكه والخضروات، أما الحبوب التي كانت عماد حياة الناس قديماً فلا تجد من يهتم بها، وإن مارسها أحد ففي أماكن محدودة جداً في بعض المحافظات التهامية والسروية، ومن خلال سير في بلاد أبها، وخميس مشيط، ومحال عسير، شاهدت وعرفت وسمعت بعض الأمور ذات الصلة بالحياة الزراعية، ومنها:

(أ) كانت بلاد عسير (تهامة وسراة) أراضي زراعية بامتياز، ومما قرأت واطلعت عليه من وثائق في مالية عسير خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ان منطقة عسير كانت تصدر جميع بلدان المملكة في ما تنتجه من محاصيل زراعية متنوعة، ويدخل خزينة الدولة اموال كثيرة مصدرها زكوات بلاد عسير وما جاورها من أوطان السراة وتهامة^(٢).

(ب) كان أهالي منطقة عسير قديماً يبذلون ما في وسعهم لخدمة مزارعهم (المسقوي والعثري)، ولا يتخلى الواحد منهم عن أرضه، وإنما هو جزء منها فيشرف عليها ويرعاها بتقنية الشوائب منها، ثم يحرقها، ويزرعها، ويحمي محاصيلها حتى يحصدنها ويخزنها. وللاوائل تراث وثقافة في عالم الزراعة، فيعرفون مواسم الزراعة، والحرث، والحصاد، وأدواتهم الزراعية من صنع أيديهم؛ وقدمت لهم الحكومة الكثير من الخدمات المالية والتشجيعية لممارسة أنشطتهم الزراعية^(٣). ومع بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تطور العقار، وزاد المال عند الناس، فتركوا الزراعة تدريجياً، وعملوا في مهنة أخرى أسهل

(١) كذلك القائمون على صيد الأسماك، وجلبها من البحر إلى الأسواق والمطاعم، والذين يقومون على بيعها أو قليها وطهيها معظمهم من الهنود، والبنجاليين، والنيباليين، وأحياناً السودانين والباكستانيين واليمنيين.

(٢) نشرت مئات الوثائق المالية التي توضح مقادير الزكوات من منطقة عسير في الفترة من (١٢٤٠-١٤٠٠هـ)، وما بذله رئيس ماليات الجنوب الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، في رعاية مصالح الدولة الاقتصادية والمالية، التي كانت تجني زكوات مزارع الجنوب السعودي وبخاصة في عهد الملك عبدالعزيز الفيصل.

(٣) منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) قدمت الحكومة معدات وقروضاً، وأموالاً كثيرة للمزارعين في عموم المملكة العربية السعودية، وبلاد عسير من المناطق التي حظيت بالكثير من هذه الخدمات. المصدر: معاصرة الباحث لتلك الفترة، والكثير من سكان عسير حصلوا على ذلك الدعم والتشجيع الحكومي.

في ممارستها وأكثر دخلاً، وبدأ البعض منهم يحولون أملاكهم الزراعية إلى مخططات ومقرات عمرانية، وزحف العمران في المدن والقرى على المناطق الزراعية^(١).

(ج) جلست مع بعض شرائح المجتمع في أبها، ورجال ألمع، وخميس مشيط، ومحایل عسير، ومنهم صغار السن وآخرون مسنون، فوجدت الكبار الأوائل ما زالوا يعرفون شيئاً من تاريخ وتراث الزراعة، وأسماء أدوتها، ومحاصيلها، وطرق ممارستها، أما الجيل الحديث فلا يعرفون أي شيء عن ذلك التاريخ الحضاري، وبعضهم يذكرون بعض أسماء الخضروات والمزروعات التي يتولى الإشراف عليها حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) بعض العمالة الوافدة، ويظهر الفرق الشاسع بين ثقافة الجيلين (القديم والحديث) في مجال الزراعة، والواجب على مؤسساتنا التعليمية، وأصحاب الفكر، والرأي، والثقافة أن يقوموا ببعض الجهود التي تُعرف وتطلع الأجيال الحديثة المتأخرة على تاريخ وحضارة الزراعة التي عرفها ومارسها أبائهم وأجدادهم^(٢).

(د) شعرت بالحسرة والحزن، وأنا اتجول في أرجاء محافظات رجال ألمع، ومحایل عسير، وأبها، وخميس مشيط، وغيرها من بلدان وحواضر السراة وتهامة عندما رأيت الكثير من الأراضي الزراعية تحولت إلى مدن وأحياء عمرانية، والأودية التي كانت تجري مياهها طوال العام أصبحت جافة لا حياة فيها، والأدهى والأمر أن البلديات وغيرها من مؤسسات الحكومة سعت إلى قطع الأشجار ببعض الأودية، ثم تبليطها بالصبات الخرسانية، والمؤسف أن الحياة الزراعية صارت من الأعمال الثانوية عند جميع طبقات المجتمع، ومع مرور الزمن قد تصبح من التاريخ القديم البائد^(٣).

٤- الحرف والصناعات:

كان الفرد والمجتمع قديماً يعتمد على ذاته في توفير صناعاته الجلدية، والخشبية، والحديدية والمعدنية، والفخارية والحجرية، ومنسوجاتها وخياطتها وغسلها، ويقوم على

(١) كانت بلاد عسير السروية والتهامية مليئة بالمزروعات المختلفة هذا ما قرأته في كتب الرحالة الذين زاروا أبها وخميس مشيط وما حولها في القرن (١٤هـ/٢٠م)، والوثائق تؤكد نشاط الزراعة في كل مكان من بلدان السراة وتهامة، وشاهدت بعضاً من ذلك الثراء الزراعي خلال تسعينيات القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن كما عاصرت النشاط العمراني الذي بدأ من عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) حتى الآن وما جرى للكثير من المزارع الصغيرة والكبيرة في سروات عسير، ونهايتها من خراب وتدمير.

(٢) ليس هذا الأمر مقصوراً على الزراعة، وإنما هناك جوانب حضارية قديمة في بلادنا، اندثرت وضاع تاريخها، وأجبالنا الحاضرة والمستقبلية لا تعرف عنها أي شيء، وسوف يزداد جهلهم بها، وعدم السماع عنها مع تقادم الزمن. وعلى الباحثين والمؤرخين والمعاصرين أن لا يغفلوا عن هذا الجانب، ويجتهدوا في تدوين وتوثيق شيء من هذا التاريخ المعاصر، وعليهم مسؤولية كبيرة تجاه هذا التراث والموروث الحضاري الذي في طريقه إلى الزوال والضياع.

(٣) الزراعة مجال مهم لحضارات الأمم، ولا بد أن تسعى الدولة والمجتمعات إلى الاهتمام بالحياة الزراعية، ونشر الوعي والدعم والتشجيع لهذا المجال الحضاري المهم، الذي هو جزء من حياة بلادنا عبر أطوار التاريخ.

طهي طعامه، وحرف، وأعمال أخرى يصعب حصرها^(١). وعند وصول الآلات الحديثة بدأت تحل تدريجياً محل اليد البشرية في عمل وإنجاز هذه الصناعات^(٢)، وأدون في السطور التالية لمحات من تاريخ الحرف والصناعات التي شاهدها في بعض مدن ومحافظات عسير، خلال العام الدراسي (١٤٤١-١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) وهي على النحو الآتي:

(أ) زرت المدن الصناعية في مدن خميس مشيط، وأبها، ومحایل عسير، ووقفت على بعض الورش الخشبية، والحديدية، والألومنيوم، والزجاج، ومحلات خدمات السيارات على طول الطرق الكبيرة الممتدة من محافظات أحد رفيدة إلى رجال المَع، ومحایل، والبرك فوجدت مئات المهن والحرف والصناعات التي يصعب حصرها في بحث أو ورقات محدودة^(٣) إلا أن كل ما شاهدته يشتمل على كل الصناعات التي يحتاجها الناس داخل بيوتهم وخارجها، وفي كل مهنتهم وحرفهم الاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية والعمرانية والصحية وغيرها^(٤). وفي شهر الجماديين الأولى والثانية من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ذهبت إلى مدينة البناء والعمران في خميس مشيط، وزرت بعض أسواق الأجهزة والتقنية والحواسب والجوالات وغيرها في مدن محایل عسير، وأبها، وخميس مشيط، فرأيت الكثير من المهتمين والحرفيين والتقنيين الذين يعملون ويتعاملون حرفياً وصناعياً مع هذه الأجهزة^(٥). وفي داخل المدن العسيرية لا تخلو كل

(١) وثقت الكثير من الصناعات والحرف القديمة في عدد من الدراسات التي صدرت خلال العقود الثلاثة الماضية، وهي مطبوعة ومنشورة ورقياً والإلكترونياً، انظر (prof-ghithan.com).

(٢) إنجاز دراسة مقارنة على الحرف والصناعات القديمة والحديثة التي عرفها المجتمع العسيري منذ القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) مجال مهم وجيد للدراسة والتوثيق.

(٣) عندما ذهبت إلى هذه الأمكنة والمدن الصناعية وتجولت في أرجائها، ودخلت عدداً من الورش الكبيرة والصغيرة شاهدت كل الحرف والمهن المختلفة، ومعظمها أعمال ميكانيكية، وكهربائية لكل المحركات والمعدات والسيارات والآلات المتعددة الصغيرة والكبيرة. وهناك مهن تهتم بصيانة كل آلة من محركاتها إلى قطع غيارها، إلى كهربيتها، وسمكرتها، وصيانتها وما تحتاجه من خدمة، وورش أخرى عديدة تتعامل مع الحرف والصناعات الخشبية، والبلاستيكية، والزجاج، والألومنيوم، والأعمال الحديدية وغيرها من المعادن. وهناك حرفيون متخصصون في صيانة وإصلاح بعض أجزاء السيارات والآلات الأخرى مثل: المكائن، أو الكهرباء، أو الاطارات، أو أجهزة التبريد، أو التجديد والزينة والديكورات وغيرها.

(٤) إن دراسة وتوثيق مثل هذه الأمكنة الصناعية والحرفية تحتاج أن ترصد في مئات الصفحات. حيناً أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ المدن الصناعية في عموم السبورات وتهامة، مع دعم بحوثهم بالصور الفوتوغرافية. ومن يفعل ذلك يقدم لنا خدمة جلييلة في توثيق شيئاً من تاريخ بلادنا المعاصرة.

(٥) الحديث عن مدينة البناء والعمران في خميس مشيط. وأسواق الحواسيب، والتقنية الحديثة في منطقة عسير أو غيرها من بلدان السبورات وتهامة موضوع كبير يطول شرحه، ويحتاج إلى عشرات المؤلفات، لكن ما خرجت به خلاصات أذكرها في النقاط الآتية: (١) عالم العمران والبناء والتقنية الحديثة من المجالات الحضارية الحديثة التي انتشرت في كل مدينة، وناحية، وحي. وأصبحت من مقومات الحياة العصرية الحديثة، والاعتماد عليها بشكل كبير جداً. (٢) انفتاح العالم بعضه على بعض ثم النمو الحضاري والاقتصادي الذي تعيشه المملكة العربية السعودية جعل الشركات والمؤسسات والأفراد يبذلون قصارى جهودهم للاستثمار والعمل والتعامل مع الأجهزة التقنية بشكل واسع، وأيضاً التطور العمراني الذي يمر به الشعب السعودي ضاعف من زيادة وتكاثر الأنشطة العمرانية وتوفر أدواتها ومنها. وأقول أن تاريخ البناء

الأحياء من مهنيين وحرفيين يعلمون في صناعات وحرف مختلفة مثل: إصلاح الأدوات المنزلية، والأثاث، وأعمال البناء، والسباكة، والكهرباء، وتنظيف البيوت ومرافقها.

(ب) أثناء تنقلي في جنبات محافظات البرك، ومحاليل عسير، ورجال المع، وخميس مشيط، وأحد رفيده، وأبها رأيت عشرات الحرف والمهن الاقتصادية، فهناك آلاف الدكاكين والمحلات التجارية التي تمارس مهنة البيع والشراء للكثير من البضائع والسلع، وأماكن أخرى تكاد تكون متخصصة في تجارة سلعة معينة مثل: الحديد، أو البلك، أو الإسمنت، أو بيع الآت ومعدات معينة كالحراثات، أو الشبولات، أو السيارات الصغيرة أو الكبيرة، أو الأدوات المنزلية، أو الأجهزة الدقيقة أو الإلكترونية أو تجارة العقارات، أو الأدوات الطبية، أو الصحية، أو الكهربائية أو الزجاجية، أو بيع وشراء الأدوات المكتبية، أو اللباس والزينة، أو الأطعمة والأشربة^(١).

(ج) لم أغفل عن الحرف والمهن في الأسواق الشعبية الموجودة في كل أحياء المدن، أو على طول الطرق السريعة، أو بعض القرى أو الأرياف القريبة من الحواضر الرئيسية. ففي الأسواق الشعبية عشرات السلع والمهن التي جمعت بين بعض الأدوات أو البضائع القديمة والحديثة^(٢)، أما الحرف المتناثرة في كل مكان فهي الأخرى كثيرة، مثل: أماكن الحلاقة، أو الخياطة، أو الصياغة، ومعالجة الحديد وبعض المعادن الأخرى، ومغاسل الألبسة أو أثاث المنازل، أو مغاسل السيارات وتزيينها وصيانة ديكوراتها، أو التعامل مع بعض الحرف والصناعات الزجاجية، أو الجلدية، أو الخشبية، أو البلاستيكية، وهناك الكثير من محطات الوقود في داخل المدن وعلى جوانب الطرق الرئيسية^(٣)، وبعض الأسر أو الأفراد الذين يعرضون منتجاتهم الغذائية وبعض أعمالهم اليدوية بهدف التجارة، وحرفيون آخرون تراهم عند بعض الحدائق أو المنتزهات العامة يقدمون بعض الخدمات المختلفة للمتزهين والسياح وعابري السبيل^(٤).

والعمران وميدان التقنية في منطقة عسير أو عموم بلاد السراة وتهمامة موضوعات جديدة لم تدرس وتوثق، أمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يهتمون بهذه الجوانب الحديثة والمعاصرة.

(١) كل هذه الحرف والمهن موجودة في كل مدينة، وناحية من نواحي المحافظات الأنف ذكرها، وفي كل مدن وحواضر جنوب المملكة العربية السعودية، وهذه الطفرة الحضارية بدأت بشكل عملي منذ بداية هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م) وأصبحت اليوم واسعة الانتشار، ومن أهم المكونات الاقتصادية والحضارية التي يمارسها الناس ويتعاملون معها.

(٢) زرت سوقها، ومحاليل عسير الشعبيين فوجدت فيهما الكثير من البضائع القديمة مثل: بعض الحبوب والأطعمة، أو الملابس وأدوات الزينة، أو بعض الأشربة، كما رأيت فيها أدوات خشبية، وحديدية ومعدنية قديمة، ومنسوجات وأدوات منزلية، وزراعية تقليدية، وسلع أخرى عديدة تمثل صورا من تاريخ الأولين، وتعرض بطرق حديثة للتجارة والاستثمار. وأقول أن الأسواق الشعبية الحديثة جزء من الأسواق الأسبوعية القديمة، وهي متناثرة في عموم السراوات وتهمامة، وهي موضوعات لم تخدم بحثيا وعلميا، أمل من جامعات الجنوب السعودي المحلية أن تدعم وتشجع دراسات أكاديمية توثيقية تركز على هذه الأسواق التاريخية.

(٣) تاريخ بيع الأدوات النفطية ومحطات الوقود في بلاد السراة وتهمامة مجال جيد لإصدار بحث تاريخي حضاري عنها منذ نهاية القرن (١٤/هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢/هـ/٢٠٢٠م).

(٤) نشاهد منذ عقد تقريبا تزايد الأسر المنتجة في عموم بلاد عسير وما جاورها، وجميعهم سعوديون (نساء ورجالاً)، ويجدون الدعم والتشجيع من الدولة، كما أن المجتمع يدعمهم بشراء منتجاتهم الغذائية وغيرها،

(د) عاصرت حياة الحرف والصناعات قديماً وشاهدت الحديث منها اليوم، وليس هناك وجه مقارنة بين القديم والحديث، ففي السابق كانت الصناعات والحرف محدودة ويمارسها أهل البلاد من أجل استمرار حياتهم الرعوية، والزراعية، واليومية، وكل أسرة في الماضي تعتمد على أفرادها في إنجاز كل حرفها ومهنها، وأحياناً تتعاون الأسر والأفراد في القرية الواحدة لإنجاز بعض أعمالهم الزراعية والعمرائية، والتعاونية. ويوجد في كل قرية أو قري متجاورة بعض الصناع والحرفيين الذين يمارسون صناعة أو حرفة معينة (حديدية، أو خشبية، أو معدنية، أو جلدية، أو نسيج وخياطة، أو زراعية، أو عمرانية، أو غيرها) مقابل أجر محدود، وقد تكون هذه الأجرة عينية من الحبوب أو المواشي، وأحياناً يقوم أولئك الصناع أو الحرفيون بالتعاون مع الآخرين بدون مقابل^(١).

أما الصناعات والحرف الحديثة والمعاصرة فهي قائمة بالدرجة الأولى على التجارة والاستثمار، وصارت الصناعات القديمة من الماضي، فلا نرى بعضها إلا في المتاحف التاريخية أو الأسواق الشعبية، وصناعات اليوم تعتمد على الآلة والمكائن والتقنيات الحديثة، بل أصبحت ميداناً تجارياً مربحاً، ولهذا انتشرت المدن الصناعية والحرفية في كل مكان، وتعددت الدكاكين والمجالات الصناعية، وقد اشرت إلى شيء من ذلك في ما عرفته وشاهدته في مدن محايل عسير، وأبها، وخميس مشيط^(٢).

وإذا كانت الأيدي العاملة قديماً من أبناء القرى والأسر أنفسهم، وربما عمل في المهن السابقة بعض الأيدي العاملة المستأجرة من داخل منطقة عسير وخارجها، لكنهم كانوا بنسب ضئيلة^(٣). أما اليوم فالسواد الأعظم من الأيدي العاملة، وافدون من دول عربية عديدة، ومن دول أفريقية وآسيوية أخرى، ومن النادر أن ترى العنصر السعودي (نساء ورجالاً) يعملون في الصناعات والحرف المختلفة في كل مكان من منطقة عسير (تهامة وسراة)^(٤).

وبعض هذه الأسر تعرض أعمالها على قارعة الطريق ونجد نسبة كبيرة من الناس يدعمونها، وأصبح هناك محلات تجارية مخصصة لاستقبال أعمال هذه الأسر وبيعها مقابل نسبة تحصل عليها هذه المحلات لعرض تلك المنتجات ووقت ازدهار السياحة في تهامة بالشتاء، وفي السراة خلال الصيف تشهد الكثير من الرجال والنساء يستثمرون في بضائع وسلع مختلفة على طول الطرق، وفي جنبات الحدائق العامة والمتنزهات الصغيرة والكبيرة، وتاريخ الأسر المنتجة موضوع لم يدرس ويستحق أن يكون عنواناً لدراسة علمية موثقة.

(١) كان التعاون والتكامل موجوداً بنسبة عالية جداً عند الأوائل في القرية الواحدة أو القرى المتجاورة وقد وثقت توصيلات كثيرة عن الحرف والصناعات القديمة في منطقة عسير ومناطق أخرى من جنوب المملكة العربية السعودية، للمزيد انظر عدداً من مؤلفاتي المطبوعة الورقية والالكترونية على الرابط الآتي (prof-ghithan.com).

(٢) ما تم الإشارة إليه في ورقات سابقة فقط شذرات بسيطة، ومن يدرس تاريخ الصناعات والحرف المعاصرة في بلاد تهامة والسراة فانه يحتاج إلى سنوات عديدة، وجهود مضمّنة حتى يستطيع اصدار دراسة شاملة وواقية وموثقة.

(٣) شاهدت خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض الأيدي العاملة في الزراعة والعمرائية، من بلاد اليمن، وآخرون، وهم قليلون، من بعض الأجزاء الساحلية التهامة أو البوادي الشرقية السروية.

(٤) مشكلة عدم عمل السعودية أو السعودي في الحرف والصناعات ليست وليدة الساعة، وإنما هي قديمة

٥- التجارة:

أشرت في صفحات متفرقة من هذا المبحث إلى شيء من التاريخ التجاري الذي عاشته بلدان عسير السروية والتهامية، وما زالت حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وفي الورقات التالية أذكر بعض التفاصيل عن حياة العسيريين التجارية في وقتنا الحاضر، وهي على النحو الآتي:

(أ) امتازت محافظات منطقة عسير التهامية والسروية بالتنوع الجغرافي، ووفرة الموارد الطبيعية، والثروات الزراعية والحيوانية والموقع الاستراتيجي الجيد، ونشاط سكانها وقدرتهم على ممارسة أعمال اقتصادية عديدة، ومنها الحياة التجارية^(١)، وإذا قارنا بين تجارة الماضي والحاضر وجدنا كل زمن له ظروفه ومقوماته، ففي السابق كانت الدروب صعبة المسالك، ووسائل النقل بدائية، وأحياناً محدودة، والأمن ضعيفاً، وربما كان مفقوداً، والقبائل متصارعة متناحرة في ما بينها، ولكل قبيلة أو عدد من القبائل أسواق أسبوعية تقوم على حمايتها ويعرض فيها ما يحتاجه السكان من سلع ضرورية، وتصدر البضائع إلى تلك الأسواق من داخل البلاد، وأحياناً تجلب من أسواق وأمكنة أخرى في بلاد السراة وتهامة، أو من بلدان اليمن والحجاز، أو من بعض مواني البحر الأحمر الشرقية والغربية، والمقايسة قديماً من التعاملات التجارية السائدة بين الناس، وكان هناك بعض العملات الأجنبية المستخدمة في مدن عسير وحواضرها، وبعد تأسيس المملكة العربية السعودية صار هناك عملة عربية سعودية، وما زالت هي السارية والمعتمدة مع إجراء بعض التعديلات والتطوير عليها منذ عام (١٣٥٠-١٤٤٢هـ/١٩٣١-٢٠٢٠م)^(٢).

(ب) في ظل التطور المادي والحضاري الذي تعيشه المملكة منذ العقود الأخيرة في القرن الهجري الماضي، وصل النمو والتقدم الحديث إلى اصلاح الطرق التي تحولت

ومتجدرة، والعربي منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي يأنف من العمل في عدد من الصناعات والحرف اليدوية، ورأيت بعض أجدادنا وأبائنا اضطرتهم الحاجة إلى عمل وصناعة كل ما يحتاجونه في حياتهم اليومية، مع أنهم لا يمارسون تلك الأعمال للتجارة، فيرون ذلك من العيب الاجتماعي، واليوم ما زال شبابنا ورجالنا لا يرغبون العمل في حرف وصناعات حديثة ومربحة، وإنما يأنفونها فيستقدمون أو يؤجرون من يعملها لهم من العمالة الوافدة التي تعمل الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) في شتى المهن والحرف والصناعات في طول البلاد وعرضها، أرجو من الدولة والمجتمع مضاعفة الجهود وتوعية أجيال اليوم للانخراط في هذه المجالات الصناعية والاقتصادية الجيدة التي تدر على أصحابها ثروات طائلة.

(١) من يدرس الوثائق المحلية، والمصادر والمراجع التي صدرت حتى الآن عن بلاد عسير، وأقوال ومدونات الرحالة العرب والغربيين يجدها فصلت عن التاريخ التجاري الذي عاصرته منطقة عسير منذ بداية القرن (١٩هـ/١٩م) حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) كل هذه الموضوعات المدونة في المتن محاور كبير تستحق أن تدرس في عشرات العناوين، ولا ننكر أن هناك بعض البحوث التاريخية التجارية التي صدرت خلال الخمسين سنة الماضية، لكن الحياة التجارية في أراضي عسير أو تهامة والسراة يجب أن تدرس منذ فجر الإسلام حتى الآن، وهي مجال مهم وجيد لمن يدرسه ويخدمه بالبحث والتوثيق والتحليل.

من دروب صغيرة بدائية إلى سكك معبدة ومسفلته تربط بين جميع مدن وحواضر وقرى ومحافظات المملكة العربية السعودية، ثم بدأت الصادرات والواردات الداخلية والخارجية تنقل بيسر وسهولة، وصار هناك مطارات وموانئ بحرية جيدة تخدم الأرض والشعب السعودي، وبدأ التجار والشركات المحلية، والأقليمية، والعالمية المستثمرة تأتي إلى المملكة من أجل الاستثمار الاقتصادي وفي ميادين شتى، والتجارة في مقدمتها^(١).

(ج) ذهبت في الشهور الوسطى من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) إلى عدد من مدن وقرى وأحياء محافظات البرك، ومحاليل عسير، ورجال ألمع، وحاضرة أبها بما فيها محافظتي خميس مشيط وأحد رفيدة، وشاهدت أنشطة تجارية كثيرة وكبيرة يصعب توثيقها في صفحات أو بحوث علمية محدودة^(٢)، لكنني خرجت ببعض التوضيحات والشروحات التي أوثقها في المحاور التالية:

١. رأيت في هذه البلاد شبكة طرق برية مسفلتة حديثة كبيرة تربط أجزاء هذه المحافظات مع بعضها بشكل جيد ومريح، بل تربط كل قرية، أو حي، أو ناحية، ومنها طرق أخرى سريعة تخرج من هذه المحافظات والحواضر إلى جميع أجزاء المملكة العربية السعودية، وإلى دول وبلدان أخرى مجاورة، وفي الوقت نفسه مطار مدني دولي في مدينة أبها يربط بلاد عسير مع غيرها من مدن المملكة العربية السعودية، وبعض الدول العربية والخليجية، وعلى ساحل عسير من الحريضة إلى البرك والصوالحة شواطئ بحرية تستخدم في خدمة التجارة والاقتصاد العسيري، وكل الخطوط البرية والجوية والبحرية مخدومة بجميع وسائل المواصلات من السيارات، والطائرات، وبعض السفن والقوارب الصغيرة، ومزودة أيضا بجميع المستلزمات ووسائل الراحة من محلات تجارية، واستراحات، ومحطات وقود، ونقاط عسكرية أمنية وغيرها^(٣).

٢. الأسواق العالمية، والمحلية، الصغيرة والكبيرة (من الدكاكين والبقالات الصغيرة إلى المولات والسوبرماركتات الضخمة) ميدان كبير جدا لا يمكن

(١) إن الباحث في أرشيف وزارات المالية والاقتصاد الوطني، والتجارة، والصناعة، والطاقة وغيرها من المكتبات العامة والجامعية فانه يجد الكثير من الوثائق والمصادر والمراجع التي تعكس التطور التجاري الذي تعيشه المملكة منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

(٢) ان من أسباب طرح مثل هذه الموضوعات في هذا البحث، ليس أن الناس لا يعرفون ما أكتبه في وقتنا المعاصر، فهم يرونه ويسمعون عنه ويشاهدونه، لكنني أعمل على توثيق شيء من التاريخ المعاصر لعله يكون لبنات أولية لأجيال المستقبل فيتخذوا منه منطلقا رئيسية تساعدهم على إصدار دراسات تاريخية علمية توثيقية وتحليلية وربما مقارنته مع عصرهم أو عصور من سبقهم.

(٣) تاريخ الطرق البرية والجوية والبحرية التي تربط منطقة عسير مع غيرها موضوع حضاري مهم، جدير بالبحث والدراسة، وأيضا مقارنة شبكة المواصلات الحديثة والمعاصرة، مع حياة المسافرين والطرق البدائية القديمة التي عرفتها بلاد السراة وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

عرضه في دراسات وكتب محدودة، والمتأمل في هذه الأسواق يجد معظم سلعها مستوردة من خارج المملكة العربية السعودية ومن عشرات الدول في العالم، وهناك أسواق شعبية، أو خضروات، أو حبوب يوجد فيها الكثير من البضائع المحلية من منطقة عسير، أو مدن ومناطق أخرى داخل المملكة. والملاحظ على هذه الأسواق وبخاصة الضخمة وأيضاً الصغيرة والمتوسطة تنوع سلعها، وهناك أسواق وتجارات متخصصة في عمل أو سلعة محدودة، مثل: معارض السيارات والآلات، والالكترونيات، وأدوات البناء، أو الألبسة والأقمشة والزينة، أو المواد الغذائية، أو الفواكه والخضروات، أو التمور، أو المواشي والأغنام، أو الأراضي والعقارات، أو المواد الزراعية أو الصناعية، أو الذهب والمعادن وغيرها، أو المياه، أو المكتبات والأدوات القرطاسية، أو أدوات السفر والسياحة، أو الأجهزة والمواد الطبية وغيرها. ولأحظت أن معظم الأيدي العاملة في الأعمال التجارية صغيرة أو كبيرة، من العمالة الوافدة العربية وغير العربية. ومؤخراً أصبح بعض السعوديات والسعوديين يعملون في الأسواق التجارية الكبيرة، وبعض الأعمال الإدارية بالقطاعات الاقتصادية والأهلية الأخرى^(١).

٢. الأسعار موضوع واسع، وأذكر نماذج من أسعار وأجور التجارات في النصف الأول من عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، فالعقارات تتفاوت حسب أنواعها وأماكنها، فالأرض التي مساحتها تتراوح بين (٦٠٠-٨٠٠م^٢) في داخل مدن أبها، وخميس مشيط، ومحاليل عسير أسعارها من الستمئة ألف إلى المليون ريال، وربما وصل سعر بعضها إلى المليون ريال وثلاثة ملايين إذا كانت في مواقع جيدة، ومثلها مدن أحد رفيدة، ورجال ألمع، والبرك، فأسعارها أقل بكثير من أبها والخميس، وفي أرياف حواضر الأحد، والخميس، وأبها، ومحاليل تكون أسعار الأرض ذات المساحة السابقة من (١٥٠-٤٠٠) ريال، أما العمائر فحسب مواقعها، وطوابقها، وجودة مواد بنائها، وقد وقفت على عمائر من دورين وثلاثة في أطراف مدن أبها، وخميس مشيط، والبرك، ومحاليل فكانت أسعارها تتراوح من خمسمئة ألف إلى مليوني ريال، وفي مخططات قديمة داخل هذه المدن كانت أسعار العمائر أقل، وعمائر من عدة أدوار على الشوارع

(١) يجب أن تضاعف الدولة جهودها حتى تعمل السعوديات والسعوديون في معظم القطاعات الاقتصادية، فتلك مجالات حيوية وعوائدها جيدة على من يعمل فيها، وإذا تأملنا في التجارة والتجارات بشكل عام وجدنا الكثير من الثقافات التي تصدر عن الأيدي العاملة الأجنبية مثل اللغة واللهجة، وطريقة الألبسة، والتأثير والتأثر بأفراد المجتمع في الأماكن التجارية وخارجها، وأيضاً مسميات السلع، أو المحلات التجارية التي يغلب عليها الثقافة الأجنبية، فالكثير من الألبسة والبضائع معروفة بأسماء أجنبية، وأسماء بعض (المولات) أو الأسواق الصغيرة والكبيرة بأسماء غير عربية، ودراسة المحلات التجارية في منطقة عسير أو بلاد السراة ونهامة، من منطلق ثقافي ومعرفي موضوع جيد، حذا أن نرى أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعتي الملك خالد وبيشة تهتم بهذا المجال وتشجع أساتذتها وطلاب دراستها العليا على دراسته وتوثيقه.

الرئيسية داخل أبها، وخميس مشيط، ومحایل وأسعارها من ثلاثة وأربعة ملايين إلى عشرة وخمسة عشر مليوناً، وربما هناك عمائر قديمة، أو أقل في أدوارها وفي الأماكن نفسها، وأسعارها أقل مما أشرت إليه.

ورأيت مزارع وأراضي ذات مساحات أكبر من (٢٠٠٠-٥٠٠٠) م^٢، وغالباً تكون في أطراف المدن أو قريبة منها، ومعظمها في مئات الآلاف، وقليلاً منها الذي يتجاوز المليون أو يدخل خانة الملايين، وذهبت إلى عدد من المخططات الحديثة في أحياء من خميس مشيط، وأحد ريفية، وأبها، ومحایل، والبرك فكانت أسعار أراضيها متفاوتة، فالبعض من مخططات أبها، وخميس مشيط، ومحایل تصل الأراضي التي مساحتها (٢٤٠٠ م^٢) أو (٢٥٠٠ م^٢)، أو (٢٧٠٠ م^٢) من ثلاثمائة ألف ريال إلى مليون لبعض الأراضي ذات الموقع الأفضل في أبها والخميس^(١)، وسألت بعض المكاتب العقارية في محایل، وأبها، وخميس مشيط فذكروا أسعاراً متفاوتة، لكن معظمها في مئات الآلاف للأراضي التي تتراوح مساحاتها بين (٥٠٠-١٠٠٠ م^٢)، وأحياناً تسمع أرقاماً فلكية لبعض المواقع التجارية داخل حزام أبها، وفي خميس مشيط، ومحایل عسير.

وأجور العقار تختلف من مكان لآخر فالمحلات أو الدكاكين التجارية الواقعة على شوارع رئيسية تدخل أجرتها في عشرات الآلاف إذا كانت صغيرة ومحدودة، أما إذا كانت واسعة، أو مكونة من أدوار فالإيجار يدخل خانة مئات الآلاف، وأحياناً الملايين. وسمعت أن أجور بعض المحلات في صناعية أبها وخميس مشيط، ومحایل تتراوح من العشرة وعشرين ألفاً إلى خمسمائة ألف، وذلك يخضع للموقع والمساحة، كما ذهبت إلى أسواق كبيرة (مولات) مثل الراشد في أبها، وبعض الأسواق الواقعة على شوارع كبيرة في أحد ريفية، ورجال المع، وخميس مشيط، فلم تكن أسعارها متقاربة، وأعلىها أجرة في سوق الراشد بأبها يليه أسواق في خميس مشيط، ثم أحد ريفية.

أما أجرة البيوت السكنية والشقق، فالشقة الجيدة ذات الغرفتين أو الثلاث في المدن الرئيسية تتراوح من عشرين ألفاً إلى ثلاثين، ومثلها في الأرياف أو الأحياء البعيدة عن مراكز المدينة أو مواقعها الحيوية تكون أقل والدور الواحد داخل المدينة وفي أطرافها أجرته السنوية من (٢٠) و(٢٥) ألفاً إلى أربعين وخمسين ألفاً، حسب جودة العمارة وموقعها، وطريقة تشطيبها.

أما الشقق المفروشة، أو الفنادق فالغرفة والغرفتان تقدر بمائتين إلى خمسمائة، وربما سبعمائة أو ألف ريال لليلة الواحدة، وصالات الأفراح والاستراحات، منها

(١) الحديث عن أسعار العقارات في منطقة عسير وبخاصة الأجزاء السروية، وبعض المدن الرئيسية موضوع جيد يستحق الدراسة والتوثيق، والأسعار بشكل عام مرتفعة، ولوقارناها مع أسعار الأراضي في العقدين الأولين من القرن (١٥هـ/٢٠م)، فإن الأسعار في الوقت الحاضر مرتفعة، وزاد من ارتفاعها إضافة ضريبة العقار (٥٪).

الصغيرة والبسيطة، وأجرتها من (٤٠٠-١٠٠٠) ريال في الليلة الواحدة، وهناك قاعات أو صالات أكبر تدخل في خانة الآلاف، وربما وصل بعض أجرتها عشرين وثلاثين وأربعين ألفاً في الليلة الواحدة. والأراضي الزراعية أقل في أسعارها من الأراضي السكنية، فقد تكون من العشرة إلى الخمسين والمئة ألف ريال في أطراف المدن والأرياف والقرى، وهناك مزارع غالية بمئات الآلاف، وتصل إلى الملايين إذا كانت مساحاتها كبيرة، ومواقعها جيدة. وكلما ما كانت الأرض موثقة بصك شرعي كان سعرها أعلى في جميع الأراضي التجارية، والسكنية، والزراعية.

وأسعار الأشربة والأطعمة تختلف حسب النوع والكمية، فالوجبة للشخص أو الشخصين في المطعم المتوسط من (٣٠-١٠٠) ريال حسب نوع الطعام، وهناك مطاعم غالية فالوجبة الواحدة للشخص الواحد تصل إلى (٨٠) و(١٠٠) ريال.

وهناك بوفيهات ومطاعم صغيرة رخيصة والوجبة الواحدة فيها من خمسة ريالات إلى عشرة وعشرين ريالاً، والمطاعم والمطابخ التي تقدم ولائم كبيرة، فالذبيحة الواحدة مع الأرز تبدأ من ألف إلى ألفين، وكيло اللحم المطبوخ من (١٠٠-١٢٠) ريالاً، وغير المطبوخ الأبقار ب (٦٥) ريالاً، والجمال ب (٦٠) ريالاً، والأغنام تصل أحياناً إلى (٧٠) و(٨٠) ريالاً، وأسعار الحبوب المد الواحد من الحنطة (١٥) ريالاً إلى (٣٠) و(٤٠) ريالاً حسب نوعه، والمواد الغذائية والأشربة الأخرى كالأرز، والسكر، والشاهي، والمكرونة، والأجبان، والألبان، والعصائر والمياه كلها تكون في خانة الريالات أو العشرات للكميات البسيطة والصغيرة، وفي المئات للمقادير الكبيرة، سواء بالوزن أو العدد. والفاكهة كيلو التفاح، والبرتقال، والموز من ستة إلى عشرة ريالات، وكيло العنب واليوسفي، والكمثري، والكيوي، والجوافة من (١٢-١٥) ريالاً، والبيع بالكرتون من هذه الأنواع من (٢٥-١٨٠) حسب النوع، وأغلاها العنب والتفاح، والكيوي، والرمان، أما الخضروات فالكيло من الطماطم، والبطاطس من (٥-١٠) ريالات، والبقودنس والخس، والجرجير، والسبانخ، والكراث، والبصل الأخضر، والنعناع، والحبق، والوزاب فالثلاث حبات بريالين، وحببة الملوخية بريالين.

وتختلف أسعار الألبسة والزينة، فالذهب والألماس أغلاها، أما لباس البدن الخارجي من الثياب، والأكوات، والمشالح، والأردية، والمعاطف، والعباءات للرجال تكون أسعار القطعة الواحدة في العشرات، وبعضها في المئات، وربما وصلت أسعار بعض المشالح إلى عشرات الآلاف.

وألبسة النساء الرخيصة والمتوسطة قريبة من ألبسة الرجال، إلا أن ألبسة النساء وأدوات زينتهن أغلى من الرجال، والألبسة الداخلية النسائية أيضاً أغلى من ألبسة الرجال، وقد تتقارب أسعار ألبسة الرأس عند الرجال والنساء فغالبا تكون في العشرات، وربما زاد

بعضها إلى المئة والمئتين والثلاثمائة ريال، لكنها من الأنواع الجيدة، وألبسة القدم عند النساء أغلى من الرجال، وهناك ألبسة بسيطة ورخيصة للرجال والنساء، فقد تشتري المرأة أو الرجل لبسة كاملة في حدود (١٠٠-٢٠٠) ريال، لكنها رديئة وقليلة الجودة.

وأجور المواصلات تتفاوت، وأعلاها الطيران الذي يقدر بالمتات لسفر الفرد من أبها إلى أي مدينة في المملكة، وإلى خارج البلاد بالآلاف، يليها سيارات المسافرين بين العشرات والمتات حسب نوع السيارة والمسافة، أما الناقلات الكبيرة، فالصغيرة ولمسافات قصيرة تقدر بالعشرات أو المتات أحيانا حسب البضاعة المنقولة، أما المسافات البعيدة فالأجور بالآلاف، وكلما كانت الحمولة كبيرة، والبضاعة كثيرة والمسافة طويلة تكون الأجرة عالية، وأجور المعدات الأخرى كالشيوليات، والحراثات، والخلاطات الخرسانية، والكسارات وغيرها فالأجرة بالساعة، وغالبا تكون من (١٠٠-٢٠٠) ريال حسب نوع الآلة.

وأسعار مواد البناء والعمران مثل الحديد، والزرجاج، والألمونيوم، والمسامير، والدهانات، والكهرباء، وأدوات السباكة، والأعمال الخرسانية، والأخشاب والتجارة وغيرها فتختلف من سلعة إلى أخرى، حسب النوع والكمية، فمنها أدوات بسيطة أسعارها في العشرات وأخرى أحجامها كبيرة أو كمياتها كثيرة وأسعارها تقدر بالآلاف أما أجور الأيدي العاملة، فأحيانا تكون باليومية للفرد الواحد من (١٥٠-٢٠٠) ريال، وقد تؤخذ الأعمال بالجملة، وتختلف حسب نوع العمل، وأهمية الحرفية أو التقنية، فكلما كان العمل نوعيا ويحتاج إلى حرفية ومهنية عالية مثل أعمال الكهرباء، والبلاط، والجبس تكون الأسعار عالية، وغالبا يكون السعر بالمتر الطولي، وأحيانا بالمتر المربع.

وخلاصة القول أن الأسعار اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) عالية جداً، وبخاصة بعد أن صارت الضريبة المضافة (١٥٪) مرافقة للأسعار والأجور، ومن يقارن أسعار وقتنا الحاضر بالأسعار في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة على الإطلاق، فالأسعار قديما كانت منخفضة جدا فالريال وخمسة الريالات في الثمانينيات تقضي جميع أغراض البيت الضرورية من طعام وشراب ولباس وزينة، واليوم الألف والألفان والثلاثة الآلاف ريال لا تكفي لقضاء لوازم المنزل الأساسية، وتضاعفت الأسعار عشرات المرات، والوضع نفسه على أسعار العقارات وجميع الآلات، والأجهزة والبضائع المختلفة وأجور النقل والأيدي العاملة، والمنازل وغيرها^(١).

(١) دراسة تاريخ الأسعار في منطقة عسير أو عموم السروات وتهامة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع مهم ولم يدرس من قبل، يستحق أن يكون عنوانا لكتاب علمي توثيقي، أو رسالة علمية في أحد أقسام التاريخ في جنوبي البلاد في المملكة العربية السعودية.

سادساً: الحياة التعليمية، والثقافية والفكرية:

١- صور من الحياة العلمية والتعليمية:

بدأ التعليم العام الحديث في أبها وما حولها في بداية النصف الثاني من القرن (١٤٠٥هـ/٢٠٠٤م)، والتعليم الجامعي في منتصف التسعينيات من القرن نفسه، ثم تطور التعليم العام والعالي حتى غطى جميع مدن ومحافظات وقرى منطقة عسير^(١)، ومن مشاهداتي للتعليم العام والجامعي في بعض محافظات عسير السروية والتهامية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) استطعت الخروج بعدد من النتائج والانطباعات، أذكر أهمها في الفقرات الآتية:

١. بدأ التعليم العام للبنين والبنات بسيطاً خلال النصف الثاني من القرن (١٤٠٥هـ/٢٠٠٤م)، فكانت مقرات المدارس متواضعة ومستأجرة، والمدارس والمدرسون من بلدان عربية، وبعضهم من دول أجنبية وبخاصة معلمي اللغة الإنجليزية، وتدريجياً تطور التعليم كماً ومادياً وبشريا، فلم يأت العقد الثالث من هذا القرن (١٤١٥هـ/٢٠٠٤م) إلا وأغلب مباني المدارس حكومية، وهيئة التدريس من الجنسيتين سعوديات وسعوديون. وما زالت بعض المدارس الأهلية حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) مشغولة بنسبة تزيد عن (٥٠٪) من الكوادر البشرية الوافدة من بلدان عربية عديدة وأكثرهم من جمهورية مصر العربية^(٢).

٢. زرت بعض المدارس الحكومية في محافظات خميس مشيط، وأبها، ورجال ألمع، ومحاليل عسير، فوجدت أغلب مدارس البنات والبنين مكتظة بالطالبات والطلاب، ولم أرى في حوالي عشرين مدرسة زرتها مدرسات أو مدرسين غير سعوديين، كما أن (٩٠٪) من المدارس التي زرتها مبان حكومية متعددة الأدوار والمرافق، وفي الوقت نفسه ذهبت إلى إدارات التعليم في أبها، ورجال ألمع، ومحاليل عسير، وزرت بعض مكاتب التربية والتعليم في أحد ريفية، والبرك ووجدت فيها مئات الأفراد من الموظفين الذين تتفاوت مراتبهم ومستوياتهم التعليمية، وفيهم أعداد لا بأس بها من النساء والرجال يحملون درجات علمية عالية كالماجستير والدكتوراه^(٣).

(١) اصدرت عدداً من البحوث والكتب عن التعليمين العام والعالي منذ عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). انظر تلك الدراسات الورقية في مكتبات الجامعات المحلية، ورقمياً على الرابط الآتي (prof-ghithan.com).

(٢) هذا ما شاهدته في عدد من المدارس الأهلية في مدينتي أبها وخميس مشيط في شهري جمادى الأولى والثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

(٣) أثناء زيارة إدارات التعليم الرئيسية في أبها، ومحاليل عسير، ورجال ألمع، اطلعت على بعض الوثائق والسجلات التي تعكس بعض إحصائيات الطالبات والطلاب، كما حصلت على وثائق تشير إلى بعض المصروفات والتنفقات التي صُرفت على التعليم في تلك الإدارات خلال السبع سنوات الماضية (١٤٣٥-١٤٤٢هـ/٢٠١٥-٢٠٢٠م)، وهي أموال طائلة وبخاصة للمشاريع التعليمية، ورواتب المعلمات

٢. لا تخلو محافظات محايل، وخميس مشيط، وأبها وأحد رفيدة من مدارس تعليمية أخرى، مثل المعاهد المهنية والفنية، والمدارس الأهلية، وبعض المدارس الخاصة لبعض شرائح المجتمع مثل الكبار والكبيرات، وذوي الاحتياجات الخاصة. وكل هذه المؤسسات تؤدي رسالتها لخدمة المجتمع، والقائمون على بعضها كالمدراس المهنية والصناعية كوادر سعودية من الجنسين^(١).

٤. بدأ التعليم الجامعي في مدينة أبها في النصف الثاني من العقد التاسع من القرن (١٤/هـ/٢٠م)، وكانت جامعتنا الإمام محمد بن سعود، والملك سعود من أسس تلك البداية، واستمر فرعاً تلك الجامعتين يؤديان رسالتهما من عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م)، وفي تلك الفترة عرفت المنطقة أيضاً مؤسسات تعليمية عالية أخرى مثل: كلية المعلمين في أبها، وكليات البنات المتوسطة، أو التربية في أبها، ومحايل عسير، وكليات أخرى صحية، ومهنية وفنية^(٢)، وتلك المؤسسات عانت من نقص كبير في عضوات وأعضاء هيئة التدريس، وجميعها كانت في مقرات مستأجرة، ما عدا كلية المعلمين، والكلية التقنية صار لهما أبنية حكومية من العقد الثاني من القرن (١٥/هـ/٢٠م)^(٣).

٥. تأسست جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، فجمعت كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود تحت مظلتها، وسعت إلى نشر التعليم في بعض محافظات منطقة عسير، كما امتد أثرها الإيجابي إلى منطقتي جازان ونجران، واجتهدت في إنشاء بعض الكليات هناك حتى استقلت تلك المنطقتان بجامعتين حكوميتين، وبذلت ما في وسعها حتى قامت جامعة بيشة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، وهي الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) تسعى جاهداً لقيام جامعة مستقلة في تهامة ومقرها بين محافظتي محايل وبارق، ثم تطورت في أرجاء منطقة عسير، وانضمت إليها كليتا المعلمين في أبها وبيشة، وكليات البنات، والكليات الصحية. ولن أفصل الحديث عن هذه الجامعة وامتدادها على مساحة كبيرة من جنوبي المملكة العربية السعودية، ثم على جزء كبير من منطقة عسير الممتد من ظهران الجنوب إلى تنومه في السراة، ومن رجال ألمع إلى البرك والمجاردة في تهامة، وذلك أنني أعكف حالياً على إصدار دراسات مطولة عن هذه الجامعة من (١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م)،

والمعلمين والموظفات والموظفين. دراسة تاريخ التعليم الحديث والمعاصر في منطقة عسير أو مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٨٠-١٤٤٢هـ/١٩٦٠-٢٠٢٠م) موضوع مهم ويجب دراسته وتوثيقه في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(١) هذه القطاعات التعليمية لها تاريخ يعود بعضها إلى نهاية القرن الهجري الماضي، وهي مجالات حضارية مهمة جديرة بالدراسة والتوثيق.

(٢) للمزيد من تاريخ بدايات التعليم العالي في منطقة عسير، انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج ١٨، (القسم الثاني).

(٣) ما زالت هذه الأبنية قائمة على طريق أبها خميس مشيط وهي موضوع جيد جداً أن يدرس ويوثق في بحث علمي.

وأمل أن تصدر بعض هذه البحوث في القريب العاجل، والحقيقة أن جامعة الملك خالد هي المؤسسة التعليمية العالية التي كان لها الفضل الأول، بعد توفيق الله، على نشر وتوطيد أسس التعليم الجامعي في معظم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. وما زالت حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) تعمل بجد واجتهاد حتى تكون ضمن منظومة الجامعات العلمية الجيدة على مستوى العالمين العربي والعالمي، أرجو أن يكون ذلك قريباً بإخلاص القائمين عليها، وبدعم الدولة الموفق والمبارك^(١).

٢- الثقافة والفكر:

لا يخلو المجتمع السروي والتهامي من فكر وثقافة، ففيهم بعض الشعراء في الجاهلية، وجاء الإسلام فصارت هذه البلاد تدين بالتوحيد، واستمرت على ذلك حتى اليوم، وإن شاب مجتمعاتهم بعض الصراعات والحروب القبلية، أو القصور وعدم الوعي الكافي بقيم الدين ومبادئ الحياة النظيفية^(٢). ثم قامت الدولة السعودية الحديثة، وسعت إلى بناء الأرض والانسان فكرياً، وثقافياً، ومعرفياً^(٣)، والمتأمل في حواضر عسير التهامية والسروية في العصر الحديث والمعاصر يجد أن حاضرة أبها لعبت دوراً تنويرياً وتوعوياً كبيراً.

عندما قامت إمارة ابن سعود الحديثة فيها في بداية الأربعينيات من القرن الهجري الماضي، وحرصت على بسط الأمن في البلاد، واجتهدت بأسلوب الحزم والتنوير على توحيد الصف بين أفراد المجتمع، والتصدي لمن يسعى إلى نشر الفوضى في البلاد، والالتزام بالمبادئ الإسلامية في جميع التعاملات الفردية والجماعية، الرسمية والأهلية، ثم عملت على التطوير الإداري والتعليمي في أصقاع منطقة عسير، فأُسست الإدارات الرسمية الحديثة، وأنشئت المدارس ثم المعاهد وأخيراً الكليات الجامعية، وهذا مما خلق مجتمعاً موحداً يسعى إلى تطوير الذات، والترقي في سلم الثقافة والمعرفة.

ولم تقتصر حواضر عسير الرئيسية وفي مقدمتها مدينة أبها على المدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية الرسمية النظامية، وإنما انشئت محاضن ثقافية أخرى عديدة تمثلت في الأندية الأدبية والثقافية والرياضية، وصار ضمن جداول المدارس والكليات أنشطة لا صفية تصب في نشر الوعي والفكر والثقافة الهادفة والسليمة، كما

(١) انطلق التعليم العالي من حاضرة أبها إلى معظم مناطق جنوبي المملكة، ثم جاءت جامعة الملك خالد فقادت مسيرة التعليم العالي في عموم بلاد عسير، وجازان، ونجران وخرج من رحمها ثلاث جامعات في نجران، وجازان، وبيشة، وقريباً جامعة رابعة في تهامة، وهذه المؤسسة الكبيرة قدمت الكثير من الانجازات، وجديرة أن يوثق تاريخها في عشرات الكتب والبحوث.

(٢) تاريخ فكر وثقافة منطقة عسير، أو بلاد السرويين والتهاميين منذ عصور ما قبل الإسلام إلى خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) مجال واسع يخرج عنه عدد كبير من الدراسات العلمية القيمة.

(٣) دراسة الفكر والثقافة في جنوبي المملكة العربية السعودية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي يجب دراستها في رسالة أو كتاب علمي.

جلبت الجرائد، والمجلات المعرفية، وأخيراً أنشئت جريدة الوطن في مدينة أبها، ثم جاء اليوم وسائل التواصل الاجتماعي وما تحمله من غث وسمين في بناء ثقافة الأفراد، والأسر، والمجتمعات. ولم تقصر الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد عن المساهمة في نشر الوعي الديني والمجتمعي في المدن والمحافظات والقرى من خلال منايرها وأنشطتها المختلفة، كما أن السفر واتصال الداخل بالخارج جلب الكثير من أنماط الحياة الثقافية والفكرية، وقد عشت في سروات وتهامة عسير منذ ثمانينيات القرن (١٤/٢٠م) إلى الوقت الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ورأيت كيف كانت الحياة سهلة ومتواضعة، ثم تطور الانسان والأرض حتى صار الفرد الجنوبي السعودي مشاركاً في جميع مفاصل الحياة الرسمية والأهلية، العامة والخاصة، الأسرية والمجتمعية، البعيدة والقريبة^(١). ومن المؤكد أن مجتمعا اليوم أحسن من السابق، حتى وإن تخلله بعض العوارض السلبية وغير المفيدة، وما من شك أن الفرد والأسرة والمجتمع العسيري جزء من هذا العالم الكبير، فهو يتأثر بكل الأحوال السياسية، والاقتصادية، والفكرية والثقافية، والاجتماعية والصحية وغيرها المحلية، والإقليمية، والعالمية وعلى الكل مسؤولية العمل على تحقيق ما يكون هادفاً لبناء بلادنا معنوياً ومادياً وتمويهاً وحضارياً^(٢).

سابعاً: التاريخ الصحي؛

عانت حاضرة أبها وغيرها من قرى ومدن عسير صحياً خلال القرون الماضية، وقد قرأت وسمعت أخباراً مؤلمة عن الطب والتطبيب في هذه البلاد، وكانت تهامة في وضع أسوأ من أهل السراة، فحياتهم الطبية بدائية، وجل تداويهم الكي أو بعض الوسائل الشعبية القائمة على المحاولة والصدفة، ومنذ سبعينيات القرن (١٤/٢٠م) بدأت الدولة السعودية تغير السكان كبير اهتمام فترعاهم صحياً ومعرفياً، وبدأت ببناء المستشفيات والمراكز الطبية، ولم يبدأ هذا القرن (١٥/٢٠م) إلا وفي كل مدينة أو قرية كبيرة خدمات طبية حسنة، وتطور المجال الطبي في كل المحافظات والمدن، وتعددت المستشفيات والمراكز الصحية الحكومية الأهلية، وأنشئت المعاهد ثم الكليات الصحية في أغلب المحافظات التهامية والسروية^(٣).

(١) حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون حياة الفرد والجماعة في منطقة عسير، كيف كانت وكيف تطورت حتى الآن، مع التركيز على الإفرازات الفكرية والثقافية التي عاشتها البلاد وما زالت، وذكر الإيجابي والسلب منها، والإشارة إلى أسباب ذلك، وما هي الحلول الجيدة التي تبني مجتمعا واعيا وسليما، محافظا على قيمه ومبادئه، والأخذ بكل الجوانب والأمور الهادفة والبناءة.

(٢) أقول هذا الكلام من واقع التجربة والخبرة ومشاهدة عالما الداخلي، وبلدان العالم من حولنا، فلا يبنى البلاد والمجتمعات إلا الفكر والمعرفة والثقافة، وكلما كانت أفكارنا وثقافتنا تسير في الاتجاه الصحيح، فقد نحقق نجاحات جيدة ومتطورة، وإذا شاب ثقافتنا وأفكارنا لوثة تحرفها عن طريق الجادة، فذلك الخطر المحقق الذي قد يأتي على كل شيء (عام وخاص) فيتلفه، ويسير به نحو الخراب والهلاك.

(٣) عاصرت معظم هذا التطور الصحي منذ عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) حتى الآن، ودونت عدداً من البحوث والدراسات التي أرخت للطب والتطبيب في منطقة عسير، وبعض مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. للمزيد انظر كتاب (أبها حاضرة عسير: دراسة وثائقية) (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) وكتاب (عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ)، وبحوث ووثائق عديدة في موسوعة: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (٢١) مجلداً.

وزرت بعض الكليات الصحية في جامعة الملك خالد في شهر صفر عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، وفي العام نفسه ذهبت إلى مستشفى عسير، ومستشفى الصحة النفسية في أبها، ومستشفى محايل الحكومي، وسرت إلى مستشفى أبها الخاص، والألماني التجاريين في أبها وخميس مشيط، كما قرأت بعض الانجازات الطبية الحديثة في بعض مستشفيات منطقة عسير، ووجدت تطور الخدمات الصحية في كل مجال، والدولة لا تدخر أي جهد في توفير ما يحتاج المجتمع من رعاية وخدمة صحية^(١).

وبلاد عسير واجهت صعوبات كثيرة مثل غيرها في المملكة والعالم من مرض كورونا (COVID-19)، وأشارت إلى بعض تلك العقبات في دراسات سابقة^(٢)، واثناء تجوالي في مدن أحد ريفية، وخميس مشيط، وأبها، ومحايل، والبرك في شهري ربيع الأول، وربيع الثاني (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، لاحظت بعض الأمور عند سكان هذه البلاد تجاه هذه الجائحة العالمية، اذكر بعضها في النقاط الآتية:

١. خف رعب الناس وخوفهم تجاه هذا المرض، ففي السابق، أثناء الحجر الكلي، أو الجزئي، وفي الشهور الأولى من اجتياح هذا الوباء، كان أهالي منطقة عسير، رجالا ونساء في قمة الهلع، وبخاصة عندما بدأ يموت بعض الأفراد في المملكة وفي مناطق جنوب البلاد السعودية، أما الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) فترى الناس يمارسون حياتهم اليومية في كل مكان، مع أنهم ما زالوا يسمعون بالوفيات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، بل تسمع البعض منهم يقول ربما مرض كورونا قد أصابنا وذهب، لأن هذا المرض فعلا أصاب أفرادا وقضى عليهم، وآخرون أصيبوا ولم يتأثروا كثيرا، والناس في عسير وغيرها يسمعون عن لقاءات جديدة بدأت تظهر في العالم، ومنهم من يقول سوف أخذ هذا اللقاح عند وصوله، وآخرون يقولون أنها مؤامرة، وهو ضار ولن استخدمه، وفي الأيام وربما الشهور القادمة قد يصل اللقاح إلى المملكة، ومن المؤكد سوف يكون له معارضون وآخرون مؤيدون^(٣).

٢. تنادي وزارة الصحة بالالتزام ببعض الاحترازاات كالتباعد الاجتماعي، ولبس الكمامات، ونلاحظ التباعد بشكل جيد في المساجد أثناء الصلاة، لكن في اجتماعات أخرى في المنازل واللقاءات العامة وبخاصة في مجالس الأطفعة

(١) إن ميدان الصحة في عسير وجميع مناطق المملكة يحظى برعاية كبيرة من الدولة ووزارة الصحة، وكل كلية أو مستشفى حكومي أو أهلي في محافظات عسير التهامية والسروية يستحق أن يدرس تاريخه ويوثق. أرجو من المؤرخين والباحثين الجادين في جامعتي بيشة والملك خالد أن يخدموا القطاع الصحي في المنطقة بإصدار دراسات علمية موثقة من مصادرها الرئيسية.

(٢) للمزيد انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، حـ ١٩، ص ٥١٦-٥٢١، ج٢١، ص ٤١٨-٤٢٢.

(٣) مرض كورونا في المملكة العربية السعودية، وفي جنوب المملكة العربية السعودية موضوع جديد يجب دراسته دراسة علمية، مع توضيح آثاره السلبية والاجابية على أهل البلاد.

والنزهة، والترويح لا نرى أي تباعد، والحرص على لبس الكمادات يشوبه الإهمال في الشارع، والأسواق، والاجتماعات العامة، أما في المساجد فهناك أعداد جيدة من المصلين ما زالوا محافظين على لبسها^(١).

٢. جميع المدارس الحكومية والأهلية، وطالبات وطلاب الجامعات يدرسون عن بعد خلال العام الدراسي (١٤٤٢-١٤٤٣هـ/٢٠٢٠-٢٠٢١م)، أما موظفو الدولة والقطاعات الخاصة فهم يعملون في مؤسساتهم الإدارية، مع تقليل الأعداد في الدائرة أو المكتب الواحد، وجائحة كورونا أفرزت بعض الإيجابيات مثل الأقبال على التعليم الإلكتروني، والتقنيات، وزادت من النشاطات الثقافية، والمحاضرات والنقاشات العلمية التي تنفذ عن بعد. وقد زرت جامعة الملك خالد وإدارة تعليم أبها في شهر جمادى الأولى (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) فوجدت مضاعفة الدورات التقنية لموظفي هذه المؤسسات، والأمر نفسه جارٍ في كل مؤسسة إدارية كبيرة في بلاد عسير، فهم ينجزون أعمالهم إلكترونياً عن بعد.

ثامناً: السياحة اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م):

أصبحت السياحة بالتراجع في عسير (تهامة وسراة) بسبب مرض كورونا، وبدأت من شهر صفر عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) تنشط لكن ليست بالصورة التي كانت عليها في السنوات الماضية، وأمير المنطقة، تركي بن طلال آل سعود، يبذل قصارى جهده لتنشيط السياحة ودعمها وتشجيعها، وقد حضرت بعض الاجتماعات الرسمية في أبها ومحال عسير، وقدمت فيها بعض الأفكار والأوراق التي تدور حول النشاط السياحي في عسير السراة، والسهول والساحل. وهناك بعض الرؤى النظرية الجيدة التي ذكرها بعض المتحدثين، لكن تطبيقها ليس سهلاً، لعدم توفر البنية التحتية أحياناً، مثل: الشاليهات، أو الفنادق، أو الشقق المفروشة المناسبة، وإن وجدت فأسعارها عالية جداً. وبعض الخدمات الأخرى كدورات المياه المناسبة والنظيفة، وألعاب الأطفال والملاهي، وأماكن رياضية متعددة الأغراض والهوايات.

والمأمل في طبيعة بلاد عسير من أحد ريفية إلى البرك يجد التنوع التضاريسي الذي تمتاز به المنطقة، وما يوجد في جنباتها من ثروات نباتية وكائنات حية، ناهيك عن الإرث العمراني والحضاري القديم الذي عرفته المنطقة، وعلى المخططين للسياحة في عسير، بل في عموم السراة وتهامة أن يحرصوا على التمدن والتطوير، وعلى تراث المنطقة المادي والمعنوي، ثم يخلقوا منها بيئات سياحية متباينة حسب ما تمتاز به كل ناحية أو جزء، فالطبيعة مثلاً في أحد ريفية، وخميس مشيط، تختلف عن مرتفعات أبها ثم منحدرات

(١) دخلت مساجد صغيرة وكبيرة، ورأيت تجمعات كثيرة وقليلة في مدن أبها، وخميس مشيط، وأحد ريفية، والناس متباينون في لبس الكمادات، والمساجد أفضل الأماكن التي يحرص الناس فيها على التباعد الاجتماعي.

السروات التي تصل إلى رجال المَع ومحايل، ثم السهول والساحل من شمال مدينة محايل إلى البرك على شاطئ البحر، وإذا استشعر المسؤول والمهندس والمخطط لخارطة السياحة لهذا التنوع ثم الاستفادة من دور الخبرة والبلدان التي سبقتنا في عالم السياحة وبخاصة في بعض الدول الغربية والشرقية فقد تثمر الجهود، ويؤسس لسياحة مستدامة تتكيف مع الظروف وتتطور مع المستجدات والتغيرات الطبيعية والديموغرافية، والثقافية، والتنمية.

للأسف أن الفرد والمجتمع ما زال يحتاج إلى تنوير وتثقيف تجاه البيئة الطبيعية وما تحويه من مكونات، وإذا أدرك المواطن والمقيم بأن الحفاظ على بيئته جميلة ونظيفة، هي أولى الخطوات لبناء سياحة مميزة ورائدة. وكما نحن في أمس الحاجة إلى تحمل هذه المسؤولية، فالكثير يرون أن الدولة هي المسؤولة عن كل شيء، ولا يدركون أن الدولة أنا، وانت، وهو. ومتى استشعرتنا ثم مارسنا هذا الوعي والفكر والثقافة، فمن المؤكد أن نسير ببلادنا وحضارتنا إلى الامام، ليس في عالم السياحة فقط، وإنما في شتى الجوانب الحضارية المادية والمعنوية^(١).

تاسعاً: خلاصة نتائج وتوصيات:

لم أبذل جهود كبيرة في هذا المبحث على دراسة التاريخ في حقبة الماضي، وإنما حرصت أن لا أسهب في ذلك الزمن البعيد والقريب، كما أنني حصرت حديثي في نواحي من منطقة عسير في السراة ونهامة (أحد ريفية، وخميس مشيط، وأبها، ورجال المَع، ومحايل عسير، والبرك) وذلك لتنوع أصول سكانها، وتضاريسها الجغرافية، وأقول للقارئ الكريم أن هذا النموذج المختار جزء صغير من بلاد واسعة تمتد من حواضر اليمن الكبرى إلى حواضر الحجاز، إنها أوطان (التهاميين والسرويين) الذين استوطنوها منذ آلاف السنين^(٢).

ما دونته غالباً هو ما عرفته وعاصرته وشاهدته في العصر الحديث والمعاصر، وبخاصة في عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م) ولا أدعي أنني شملت كل الجوانب المذكورة دراسة وتفصيلاً، لكنها لمحات تاريخية وحضارية معاصرة، قد يأتي في قادم الأيام من يصحح ما أخطأت فيه، أو يستكمل ما لم أستطع رصده وتدوينه، أو يطبق ما سلكته في هذا العمل على ناحية أخرى داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، وحديثي احتوى على موضوعات جغرافية، واجتماعية، واقتصادية، وإدارية، وتعليمية وثقافية وصحية

(١) لا أذكر هذه الآراء فقط للتطير والكلام العام، وإنما فعلاً الفرد والجماعة في بلادنا يتصفون بالأنانية، وحب الذات، دون العمل بروح الفريق، والمصلحة العامة، وهذا الذي حث عليه ديننا الإسلامي وسطرته كتب المعرفة والنظريات الانسانية التي تسعى إلى خدمة الأمم والمجتمعات عبر أطوار التاريخ، وعلى جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية والإعلامية، والثقافية أن تبذل قصارى جهودها لبناء الانسان الذي يعمل من أجل بلده وأمتة، ولا يقصر جهوده واهتماماته على خدمة نفسه فقط.

(٢) هذه البلاد لم تخدم بشكل جيد في باب البحث العلمي، وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام، والعصور الإسلامية المبكرة والوسيطه (١ق-١٠ق/هـ-٧ق-١٦م)، وما زالت تحتاج إلى جهود كبيرة لدراستها من شتى الجوانب، والبحث عن مصادرها المطبوعة، والمخطوطة، والسطحية والمدفونة.

وسياحية، أمل أن تكون مفاتيح صغيرة لبحوث ودراسات علمية أفضل، وأطول، وأعمق.

(*) وهناك بعض التوصيات التي أذكرها، أرجو أن تكون ذات فائدة لكل مؤرخ، أو باحث، أو طالب دراسات عليا، أو مهتم بتاريخنا الحضاري القديم، والحديث، والمعاصر، وهي على النحو الآتي:

١. كل ناحية مذكورة في هذه الصفحات (البرك، ومحال، ورجال ألمع، وأبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة) لها تاريخ مبكر يعود بعضه إلى عصور قديمة قبل الإسلام، وكل مدينة أو بلدة تستحق أن تدرس جذور سكانها النسبية والقبلية، من أين جاءوا، وأصولهم، وكيفية استيطانهم في أراضيهم الحالية، والحروب والصراعات القبلية التي جرت بينهم، أو مع غيرهم؛ وبعض هذه الأمكنة أسماء حديثة، لكن لها أسماء وتاريخ قديم، يستحق بحثه ودراسته.

٢. جاء الإسلام إلى سكان هذه البلدان فاعتنقوه، ثم هاجر بعضهم إلى الحجاز والأمصار الإسلامية، والغالبية بقوا في أوطانهم، وساهموا في بناء بلادهم خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيط (١٠ق-١٠هـ/٧ق-١٦م)، وما من شك أن لهم حراكا حضاريا داخليا طويلا، لانعرف عنه الشيء الكثير، وربما لهم صلات سياسية وحضارية خارجية، وكل هذا التاريخ يهملنا كثيرا، لأنه يعكس حياة وتراث أجيالنا السابقة، ونأمل أن نعثر عليه ونعرفه وندرسه ونوثقه.

٣. بدأ العصر الحديث، وزاد ذكر هذه الأوطان في التاريخ المروري والمكتوب، وأصبحت الصورة عن الأرض والناس تتضح لنا أكثر من ذي قبل، وقامت دول وحضارات حديثة تأثرت وأثرت على البلاد، وارتبطت أو اتصلت بقوى وأمم أخرى خارج الأوطان، ومن ثم صدرت عنها بعض البحوث والدراسات، وما زال الكثير من تاريخها وحضارتها غير معروف، نرجو أن يقيض له من يجمعه ويدرسه ثم يطبع وينشر.

٤. دخلت البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م) تحت حكومة الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، فتحوّلت أوضاع سكانها من التفرقة، والتفرق، والصراع إلى الانفتاح، والوحدة، والوئام، ثم بدأت روح الحضارة والتمدن الحديث ينتشر في جنباتها حتى صارت اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) من أكبر وأفضل مناطق المملكة العربية السعودية، وصار إنسانها يساهم في شتى ميادين الحياة العصرية تحت لواء الحكومة السعودية، وهذا العهد الحديث والمعاصر مجال كبير للجامعات، والكليات، والمراكز، والأقسام العلمية فتدرسه معرفيا، وإداريا،

واقتصادياً، واجتماعياً، وإبداعياً، وتنموياً، كما أن جغرافية الأرض والبشر جديرة بالدراسة، كيف كانت، وكيف أصبحت، وما هو المستقبل الذي ينتظرها.

٥. أوجزت الحديث على محاور عديدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) وهناك الكثير من المصادر والمراجع المكتوبة، والمصورة، والمروية عن تاريخ هذه البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر، ومثل هذا التراث جدير بالاهتمام فيحفظ، ويرتب، ويؤرشف ورقياً وإلكترونياً حتى يكون ميداناً ثرياً لدراسته ونشره في قادم الأيام، ومثل هذه الآلية أو الثقافة ما زالت متأخرة في بلادنا، والمسؤول عنها بالدرجة الأولى مؤسسات العلم والثقافة والمعرفة مثل الجامعات، وإدارات التعليم، ووزارات التعليم، والإعلام، والثقافة، وغيرها. (والله ولي التوفيق).